مقدمة:

يمثل الفكر التربوي الإطار النظري والفكري لما يحتاجه الإنسان في بناء أنظمته التربوية وأبجديات العملية التعليمية التعلمية، ووضع أسسها وقوعداها، وبحث طبيعة العلاقة بين العالم والمتعلم، وأهم ميادين العملية التربوية، وذلك بغية الوصول إلى مستوىً حضاري راق وتحقيق حضارة مزدهرة خاصة في ظل هذا التراكم المعرفي الهائل من آلاف السنين حتى يومنا هذا.

والتربية عملية اجتماعية تختلف من مجتمع لأخر وذلك حسب طبيعة المجتمع والقوى الثقافية المؤثرة فيه بالإضافة إلي القيم الروحية كما أنها تعني التنمية ولهذا تجد أن التربية لا تمارس في فراغ بل تطبق علي حقائق في مجتمع معين حيث تبدأ مع بداية حياة الإنسان في هذا المجتمع ومن ثم فإن أي تربية تعبر عن وجهه اجتماعية لأنها تعني اختيار أنماط معينة في الأنظمة الاجتماعية والخلق والخبرة ومعنى هذا أن محور الدراسة في التربية هو المجتمع فمنه نشتق أهدافه وحول ظروف الحياة فيه تدور مناهجها ولهذا نجد أن المجتمع هو الذي يحتوي التربية في داخله . ويمكن القول أن التربية تستند إلي أصول مستمدة من العلوم التي تفيد في فهم جوانبها المختلفة مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم السياسة وعلم الاقتصاد والفلسفة وعلم الحياة فالتربية لها أصولها الاجتماعية والثقافية المستمدة من علم الاجتماع وعلم الانثربولوجيا وهي الأصول التي حولت التربية من عملية فردية إلي عملية اجتماعية ثقافية ذلك أن المدخل إلي فهم التربية ينبغي أن يقوم علي الدراسة العضوية بين الفرد وبيئته التي تعني غيره من الأفراد وما يعيشون فيه من أنظمة وعلاقات وقيم وتقاليد ومفاهيم فالتربية لا يمكن تصورها في فراغ إذ تستمد مقوماتها من المجتمع الذي تعمل فيه كما أنها تهدف إلي تحويل الفرد من مواطن بالقوة بحكم مولده في المجتمع إلي مواطن بالفعل يفهم دوره الاجتماعي ومسئولياته وسط الجماعة التي ينتمي إليها وهي تحدث بطريقة مباشرة فهي تحدث في المدرسة وفي المنزل وفي غيرهم من المنظمات والمؤسسات وهذه (التربية) وسيلة لاستمرار الثقافة مهما كان الطابع العام لهذه الثقافة ودرجة تطورها حيث أن الثقافة لا تولد مع الأفراد ولا تنتقل إليهم بيولوجيا كما هو الحال بالنسبة للون الشعر أو البشرة وإنما يكتسبونها بالتعلم والتدريب والممارسة في دوائر الحياة الاجتماعية التي يعيشون منذ مولدهم ويرتبط نمو الفكر التربوي بمدى تقدم الأمة حضارياً ، فالحضارة تمثل البيئة الصالحة لإنبات الفكر التربوي ، وهو أداتها ووسيلتها في تخليد ذاتها وضمان تناقلها وانسيابها عبر الأجيال ، وهو في المقابل روحها التي تسري في

بنائها ويغذيها بشتى أسباب النمو والازدهار وصولاً بها إلى القمة، وهذه سمة بارزة في كل الحضارات القديمة والحديثة . (رضا ، 1982 : 17)

وعلى ضوء ما سبق فقد أصبحت دراسة الفكر التربوي الحديث تتويجاً للماضي في ظل مستجدات العصر الذي نعيشه من تطور في وسائل الاتصال والتراكم المعرفي الهائل وقيام حضارات محل أخرى ، وتغير ظروف وطبيعة الحياة من وقت لآخر وتحت تأثير المستجدات كالحروب ، والصراعات ، والتقدم العلمي والتقني، وفي ظل تعدد المذاهب والأطر الفكرية المعاصرة واختلاف أنماط التفكير وأشكال السلوك وتبدل الطبائع والعادات .

وبناء على ما سبق فقد حاولت تقديم هذه المطبوعة البيداغوجية التي تضمنت تتبعا لتاريخ الفكر التربوي لدى المجتمعات القديمة وعند الحضارات الإنسانية السابقة والحديثة والمعاصرة، وتقديم ذلك في أربعة عشر محاضرة مقسمة على أربعة محاور كما يلي:

– المحور الأول: تاريخ الفكر التربوي قديما: تعريف الفكر التربوي، تاريخ الفكر التربوي في المجتمعات البدائية وفي الحضارات القديمة :التربية البدائية، التربية المصرية الفرعونية، التربية الفارسية، التربية الهندية، التربية الصينية

– المحور الثاني : التربية في العصور الوسطى: التربية في العصور الوسطى الأوربية، التربية في العصور الوسطى الإسلامية

– المحور الثالث: التربية في العصور الحديثة: التربية في القرن السادس عشر، التربية في القرن السابع عشر، التربية في القرن الثامن عشر، التربية في القرن التاسع عشر

– المحور الرابع: التربية في المجتمعات المعاصرة: التربية في القرن العشرين

1- **تعريف الفكر** :

- تعريف الفكر لغة :

جاءت مادة "فكر" في " لسان العرب" بمعني : إعمال الخاطر في الشيء. وفي " المعجم الوسيط": الفِكرُ مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنوية، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها . وهو " إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول".

وجاء عند ابن فارس: فكرَ، الفاء والكاف والراء : تردد القلب في الشيء، يقال تَفكَّر، إذا رَددَ قلبه معتبراً ، ورجل فِكير كثير الفكر.

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعاً، ولكنها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر، قال تعالي {إنه فكر وقدر} أي فكر فيما أنزل على عبده محمد صلي الله عليه وسلم من القرآن، وقدر فيما بقول فيه، وقال تعالي {أفلا تتفكرون} أفلا تتفكرون في آيات الله لتبصروا الحق فتؤمنوا . (عليان عبد الله الحولي، 2018، ص 08)

- تعريف الفكر اصطلاحا:

هو جملة الأفكار والآراء والنظريات التي تعبر عن رؤية الإنسان للحياة والعالم ومعروف إن هذه المبادئ والأفكار والمفاهيم والآليات ليست فطرية ،ولا غريزية بقدر ما هي مكتسبة،يكتسبها الإنسان نتيجة احتكاكه بمحيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي.(الجابري، 1984: ص69)

عرَّف صالح الفكر بأنه : العملية التفكيرية وهو يعنى الحكم على الشيء وقد يقال ويراد منه نتيجة التفكير ، أي ما توصل إليه الإنسان من نتائج بالعملية التفكيرية. (صالح ، 1989 : 169)

وهنا يتحدث عن طبيعة عملية التفكير كنتاج لعملية لإعمال الذهن في صورة متقدمة.

عرَّف العلواني الفكر بأنه: اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان ، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلي الأحكام أو النسب بين الأشياء (العلواني ، 1992 : 27)

وهذا التعريف يبين طبيعة عملية التفكير من بدايتها ولا يحدد آليتها ثم يذكر موضوعها وهدفها .

عرَّف صليبا الفكر بأنه : إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها ، ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ، وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل ومقابلٌ للحواس (صليبا ، 9 197 :155)

وهذا التعريف يقصر الفكر على العقل كآلية يصل من خلالها الإنسان إلى ما يقع في مجال تصوره الذهني .

2- تعريف التربية:

تعريف التربية لغةً :

التربية اسم مشتق من الربّ، الربّ: يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدِّبر والمربيِّ والقيِّم والمنعم. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبُّ كذا.

ويُقال: رَبَّه يُربِّه: أي كان له رَبّاً. وفيه [ألك نعمةٌ تُربيها] إي: تحفظها، وتُراعيها وتُربيِّها كما يُربي الرجل ولده. يُقال: رَبَّ فُلان ولده يَرُبُّه رَبّاً ورَبَّتَه ورَبَّاه كله بمعنى واحد.

والرباني هو: منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون للمبالغة، وقيل هو من الرَّب بمعنى التربية.

ويقال للعلماء: ربانيون؛ لأنهم يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها.

والرَّبَّانِيُّ: العَالِمُ الراسخُ في العلمِ والدِّين. أو الذي يطلبُ بعلمه وجه الله. (ابن الأثير، 1979: 450)

"والربوبية التي لله شاملة لكافة المجالات التي يكون بها المؤمن مؤمناً يترقى في الإيمان، ليكون من المخلصين الصدِّيقين المجاهدين في سبيل إعلاء دينه وكلمته، وغاية الربوبية تعليمية، تربوية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية، فكرية، عقلية، نفسية، روحية، تتوخى إصلاح البدن، والقلب، والنفس والروح، والبيت، والشارع، والمصنع، والحقل، والمجتمع، والدولة، والعالم بأسره، ويتهيأ بها الإنسان ليكون جديراً بخلافة الله في الأرض. واسم الربِّ فيه تربية الخُلُق، فهو مُربِّي نفوسِ العابدين بالتأييد، ومربّي قلوب الطالبين بالتسديد، ومربِّي الأبدانِ بوجود النعم، ومربِّي الأرواح بشهودِ الكَرم" .

وتستعمل كلمة التربية بمعنى التهذيب وعلو المنزلة، وقد ذكر ذلك الزمخشريُّ، فقال: " ومن المجاز: فلان في رَبَاوة قومه: في أشرفهم."(الحنفي، 1996م، 49)

التربية اصطلاحاً:

"يختلف تعريف التربية اصطلاحاً باختلاف المنطلقات الفلسفية، التي تسلكها الجماعات الإنسانية في تدريب أجيالها، وإرساء قِيمِها ومعتقداتها، وباختلاف الآراء حول مفهوم العملية التربوية وطرقها ووسائلها" (الزهوري،2002م، 16)

فقد ورد في تعريف التربية تعاريف متعددة منها:

التربية تعني: " تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ليشّب قوياً معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها. فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو معنى التربية، ويقصد بهذا المفهوم كلّ ما يُغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة." (محجوب، 1978، 15)

والتربية: "تعني الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أم موجهة إلى الجانب الخُلقي الذي يتمثل في إكساب الطفل أساسيات قواعد السلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها."

والتربية: " الزيادة والنماء. وذلك حين يتزوَّد الطفل بأنواع المعرفة، وألوان الثقافة، فيتغذَّى عقله، وتكبر مدركاته، فيزكو ويسمو. علاوةً على نماء جسمه، بسبب تغذيته ورعايته صحيّاً، وتأمين ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب؛ ليترعرع بعافية جيدة، ويشّب عن الطوق بقوة، فيتحمَّل تكاليف الحياة، وتبعاتها، وقد تربىَّ جسمه، ونما عقله، وصفت نفسه، وزكت روحُه .

ومن معاني التربية: الإصلاح والتهذيب، حيث تُبذل جهودٌ كبيرة ومستمرة لرعاية الطفل، وإصلاح أحواله، وعدم إهماله، بدءاً من الأسرة، مروراً بالمدرسة، ودور العلم، ووعظ العلماء، وقراءة الكتب، وسماع البرامج الهادفة... وهذا وغيره يساعد في إصلاح الطفل، وإثراء نفسه بالعلم المفيد، والنهج السديد، إذ يرتبط طلب العلم بمناهج التربية، مما يعطي الأطفال مع مرور الوقت خبرات ومهارات وتوجيهات، تساعدهم على تحقيق أهدافهم في الحياة، فللتربية دورها الرائد، وأثرها العميق في توجيه ميول الطفل، وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية، وكبح جماح الشهوات، ورفع القوى نحو الخير والصواب."(بديوي 2003م، 1، 14)

3- تعريف الفكر التربوي:

يعرف الفكر التربوي بأنه عبارة عن جزء من فكر إنساني مبدع يتسم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية ، ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته وصفاته وحاجاته، (شريف مصطفى، 1990:ص39)

ويعرف بأنه عبارة عن جزء من فكر إنساني مبدع يتسم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية، ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته و صفاته وحاجاته (مصطفي ،1990: 39).

يعتبر الفكر التربوي أحد صور الفكر على وجه العموم، وهو وليد حركة المجتمع في بنيته الأساسية وإفرازها، فعلي صفحاته تنعكس الظروف الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتشكل اتجاهاته ومساراته بما تتخذه هذه الظروف من مسارات واتجاهات.

هو دراسة لآراء المربين والمفكرين في المتروك من مؤلفاتهم فيما يتعلق بالعلوم وفلسفتها وأهدافها وطرق تحقيق تلك الأهداف، والفكر المنفرد هو (الفعل الإنساني) الذي يقوم على التأمل والإدراك، ومن ثم الاستنتاج والمقدرة على الاختيار في المشاكل والمسائل من مجرد التأمل أو بعد الملاحظة والقياس .

الفكر التربوي مجموعة المسلمات والأفكار التي تؤلف النظرية الواحدة أو النظريات المتقاربة، والتي بدورها تعتبر المرجعية والأساس لواضعي الاستراتيجيات والبرامج العملية في ميدان التعليم، فهي جهود في الجانب النظري يتوقع أن تكون ذات تأثير وفاعلية في الجانب العملي للتعليم .

ويشمل الفكر التربوي معلومات عن (طبيعة الكون) باعتباره الدائرة الأوسع لحياة البشر، بالإضافة لبحثه في الأحداث الماضية التربوية المرتبطة بالإنسان بشكل مباشر والبحث عن وقائع تربوية أساسها الإنسان والزمان من ناحية والتوقيت واليقين، هذا بالإضافة إلى التعبير عن مقدار الوعي القائم بهذه القضايا عبر العصور وتشكيل مسيرة إنسانيه على اعتبار أنها سجل ومرجع يقدم مختلف الأحداث التربوية. فإن تطور الفكر التربوي ينتج عن تتبع لحركة الفكر الإنساني الموجه نحو التربية على مر التاريخ الإنساني قديماً وحديثاً. (عليان عبد الله الحولي، 2018، ص 11)

4- ماهية الفكر التربوي:

موضوع الفكر التربوي هو تحليل التربية ومعالجتها من المنظور التاريخي، فإذا كان التاريخ يدرس الأحداث والأشخاص، وفق العلاقات الزمنية والمكانية، ومحاولة تفسيرها، فإن الفكر التربوي أو ما يصطلح عليه تاريخ التربية يتناول جانبا واحدا من الثقافة هو نظام التربية، وهو نظام يعنى بالممارسات التربوية التي اتبعتها الشعوب والمجتمعات عبر العصور، وما ابتدعته من أنماط تربوية، من مؤسسات وأهداف وأساليب اختلفت باختلاف العصور والمجتمعات وتباين أوضاعها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. (الحاج أحمد علي، 2013: ص71)

والفكر هو روح الإنسانية وأساس بنائها الحضاري، فيه ترتقي الأمم نحو التقدم والرقي، ويمتاز بامتداده الزماني في القدم والحداثة، وحركة الفكر التربوي في تطور مستمر، فبدأت حركة بدائية في العصور القديمة، ثم أخذت في التقدم والرقى عبر تعقيدات الحياة وتقدمها الحضاري، لذلك نجد أن: حضارة المصريين صارت تراثاً بالنسبة لليونان والرومان، وصار الفكر التربوي القديم عبر الحضارات القديمة بمثابة نبراس أو قبس من نور للفكر التربوي الإسلامي الذي أفاد منه بحكم الترتيب الزمني، وقد ارتبطت حركة الفكر التربوي الإنساني في تطورها بعدة عوامل أهمها :

1- حركة الواقع والمجتمعات من بدائية إلى متحضرة .

2- تطلعات الأمم والشعوب نحو تحقيق أهدافها القومية .

3- الموقع المكاني والزماني كأبعاد حضارية رئيسة (التل ، 1991 : 328) .

4- الاختلاف في الفلسفات والأفكار .

5- الرسالات السماوية واختلاف التصورات في العقائد (العزيزي ، 1991 : 390) .

ولقد أثمر ذلك في:

أ- اختلاف في وضع تصور واضح عن الإنسان والكون والحياة .

ب- اختلاف في فهم الطبيعة الإنسانية .

ج- اختلاف في الأهداف والمناهج التي تقود الإنسان نحو تحقيق سعادته .

د- وجود علماء وفلاسفة وقادة للفكر ونظريات فكرية (زيتون، 1991: 381 -394) .

5- أهمية دراسة الفكر التربوي:

تنبع أهمية دراسة الفكر التربوي من أسباب عدة أهمها يكمن في:

- معرفة تطوره مدخل لازم لمن أراد فهم النظريات والاتجاهات والنظم التربوية في الوقت الحاضر؛ فهذه النظريات والاتجاهات والنظم لم تأت من فراغ، إنما هي وليدة مخاض تاريخي طويل وتجربة إنسانية بعيدة الجذور.

- الأهمية الحضارية، التي تأتي من دراسة حضارات الشعوب الأخرى والتعرف على جوانبها المختلفة، لمساعدة العملية التربوية في معرفة ما ورثته من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل.

- الأهمية النفعية، التي تتمثل في الدروس المستخلصة من دراسة تاريخ التربية، فنجاح الثورة التربوية التي نشهدها اليوم في تحقيقها لمقاصدها وأهدافها يتأتى عن طريق دراسة تاريخ التربية، وفهم المفاهيم التربوية المتبعة في الماضي والإفادة من نتائجها.

- الأهمية المعرفية واللغوية: حيث يمثل أهمية لمعلمي المستقبل فمهارات المعلمين تتطور من خلال معرفتهم لتطور الممارسات التربوية عبر العصور.

- مواجهة المشكلات التربوية المختلفة، فكثير من مشكلاتنا التربوية المعاصرة لا يمكن فهمها إلا في ضوء دراسة العوامل والقوى التي أثرت فيها في الماضي (ابتسام غانم، 2019: ص235)

1- التربية بعد خلق الإنسان:

لقد ارتبطت التربية ارتباطا وثيقا بخلق الإنسان، ويظهر ذلك جليا من خلال الآيات القرآنية الدالة على قضية خلق آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض، أين أعطاه الله ويسر له ما أمكن من المعرفة والعلم ، ما جعله يتأقلم مع الوسط والعالم الذي فتح عينه عليه بعد ما بث الله الروح فيه، كي يخرج من حالة الاغتراب عن الذات ويستأنس بالمحيط المعاش، فتضمنت هذه المعرفة ما أهله لاستعمال اللغة ، والرموز والإشارات إلى المخلوقات والأشياء، حيث تميز بالاطلاع على مسمياتها د ون الملائكة المقربين من الله عز وجل، وهذا الأمر يعد تكريما وتفضيلا منه تعالى لبني البشر فيما بعد، فنالوا المكانة بين المخلوقات بالعلم والمعرفة.

وهذا دليل على أن ظهور التربية ارتبط بتوجيهات الله سبحانه وتعالى فهي عملية توجيهية مصدرها الإله، وأول ما كانت بوادر التربية للإنسان ممثلة في سيدنا آدم، حيث فضله الله وعلمه مسميات الأشياء، ووكل إليه الخلافة في الأرض بالمحافظة على عهده ، وحذره من غواية إبليس ولكنه خالف أمر ربه، ثم ما عقب تلك الوصية من ندم وقربة وما ترتب على هذه التجربة من آثار، وهذا كله إلا تربية لآدم ولذريته من بعده على الأرض.

وهكذا استمرت الحياة ليجد أفراد الجنس البشري أنفسهم في صراع دائم مع الطبيعة، بمختلف مكوناتها ليضمنوا البقاء على وجه الأرض، ويحافظوا على تواجدهم وتمكنهم واستمراريتهم بين باقي مجتمعات الحيوان، فكان الغذاء أول حاجة تدفع الإنسان إلى البحث عن مصادره والحصول عليه، ولو كلفه ذلك حياته نفسها ، كي يضمن عيشه وقوته وقوت أبنائه وزوجته.

فمنذ أقدم العصور هناك عوامل أساسية وفعالة ومؤثرة على أفكار الإنسان ومؤسساته من هذه العوامل: العوامل الاقتصادية،

الدينية، الاجتماعية والسياسية ... ودرجة كل عامل تختلف حسب الزمان والمكان، فالعامل الاقتصادي يعتبر من أقوى العوامل تأثيرا حيث أن احتياجاتنا الأولية جسمية، فيستطيع الإنسان أن يعيش في ظروف جوية قاسية بدون ملابس، وبدون سقف يأويه، ولكن لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون غذاء فالغذاء يعمل على استمرار الحياة التي بدورها تستطيع أن تخلق الفن والمبتكرات وتقدم الفلسفات وتكون الأفكار. (سعد مرسي أحمد، 1986:ص 54)

إذا كان الغذاء الهم الأول لهذا الكائن الحي والجديد على البسيطة، وهي فطرة تميزت بها كل الكائنات الحية لتضمن بقاءها وقوتها واستمراريتها، إلا أن الإنسان طور وسائل وأساليب الحصول على هذا الغذاء مستخدما عقله، وفكره الذي نماه وصقله بالتجربة والاحتكاك بمختلف الأشياء التي تتواجد بمحيطه، فهو يبحث ويكتشف في كل مراحل حياته دون أن يدرك منهجا معينا في ذلك غير التجربة فيخطئ ثم يصل إلى الصواب وهو في حالة ترقب وخوف وهلع، بدءا من عوامل الطبيعة كالرعد والبرق، إلى مختلف الحيوانات بل حتى من أخيه الإنسان، حيث يرى HOBBES في كتابه المشهور LE LEVIATHAN" " أنه قبل وجود المجتمع كان الإنسان يعيش في حالة الطبيعة، ونظرا لأنانيته وغياب معيار الخير والشر اتسمت حياة الإنسان بالحذر الشديد، وبحرب الجميع ضد الجميع، وكان الفرد معزولا وفقيرا عنيفا، وعمره قصيرة، ثم ابرم الناس اتفاقا يسلم بمقتضاه كل فرد عن حريته مقابل ضمان سلامة حياته. (رشيد ميميوني،2009: ص 161)

وقد أكد القرآن وحدانية المجتمع في بداية تواجد الإنسان على الأرض وهذا دليل قاطع على أن الإنسانية في بداياتها عاشت في كنف مجتمع واحد يتحكم إلى قوانين معينة كانت سببا في ديمومة هذا التعايش. وهو ما ذهب إليه روسو في كون العلاقات التي كانت تربط ذلك المجتمع البدائي هي بداية لتشكيل ما يشبه عقد اجتماعي حيث يصف jj – rousseau الإنسان في تلك الفترة أنه كان طيبا وحرا ولكن كان ينقصه نوع من الحس الأخلاقي والشعور بالمسؤولية ، تحطم هذا التناغم الطبيعي عندما دخل الإنسان في مرحلة المجتمع، حيث ظهرت النزاعات حول الملكية وسوء توزيع الثروات، والفقر، انجر عن ذلك كل الانحرافات حيث ظهرت الشهوات المؤدية إلى الأخلاق السيئة مثل الحسد .

وهذا المنطلق والوصف الغربي يتوافق تماما مع ما أكده القرآن حيث تجسدت الطيبة في آدم عليه السلام كما تجسد الحسد والجرم في ابنيه حيث تاقت النفس البشرية إلى حب التملك وحب الذات، وهنا يظهر عجز الإنسان أمام التجارب والأحداث الجديدة في حياته، مهما كانت قوة بطشه ما لم تتعهده التربية بالتهذيب، والتوجيه لطاقاته وجهة صحيحة.(عباس محجوب، 5)

إن القرآن أشار إلى مسائل جوهرية اخفق العلم في التوصل إلى حقيقتها كأصل الإنسان ونشأة المجتمع واصل اللغة والدين. (رشيد ميموني، 2009: ص170)

فلقد نقل هذا الكتاب حقائق تواجد مجتمعات عبر التاريخ، بل وأضاف عليها أن أشار إلى حقائق علمية تتعلق بالكون والسموات والأرض، يكاد يثبت العلم يوميا صدق وحقيقة تواجدها مما يقطع الشك في أن ما ورد من أخبار عن المجتمعات والأقوام التي سلفت في غابر الأزمان عبر القصص القرآني والتي تصف الأحداث والوقائع كما كانت، هو جزء من تاريخ البشرية المعاش، مما جعل العلماء والمستشرقين منهم وحتى غير المسلمين يتخذون القرآن كمرجع للتدليل على الكثير من الحقائق العلمية، وهناك الكثير من آيات القرآن الدالة على أسرار تواجد الخلق على البسيطة، ومن هذه الحقائق أيضا قدم التربية وارتباطها بقدم المجتمعات ، ونذكر في هذا الباب وصايا لقمان ومواعظه لأبنه.

وعطفا على ما سبق فقد تميزت التربية في المجتمعات البدائية ببساطة مطالبها، ترتب عنه بساطة في وسائل تلك المطالب لا تعدوا فوق إشباع حاجات الجسم، من طعام وشراب وكسوة، ومأوى يقي من حر الشمس، وقساوة وبرودة الطبيعة، ثم تعداه إلى إرضاء القوى الغيبية، وعالم الأرواح واكتساب الأمن النفسي، فتراكمت هذه المعارف البدائية لتصبح فيما يورثها السابقون للاحقين من الأبناء كي يبقى النظام القبلي"الاجتماعي " سائد يحفظ حق الفرد ويحدد دوره داخل الجماعة.

وعند التساؤل عن سبب تجمع الناس وتشكل الجماعات فإن " بيل " يرى أن أسباب ذلك تكمن في العوامل التالية:

أ- الجغرافيا :لا يتحقق ارتباط الناس مع بعضهم إلا بالقرب المكاني أو الجغرافي.

ب- إشباع الحاجات :إن الهدف من تشكل الجماعات هو إشباع حاجات أعضائها المادية والاجتماعية على السواء.

ت- الغرض :تهدف الجماعات إلى تحقيق غرض معين، فهذا تكون لها ميكانزمات من خلالها يتحدد سلوك أعضائها حيث لا يعملون منفردين.

ث- استمرارية الترابط: للجماعات وسائل من شانها المحافظة على الترابط و التجاوز المكاني مع الجماعات الأخرى.

ج- الأخلاق :إن وحدة الجماعة يعبر عنها في حدود الأخلاق السائدة كالإيمان بالعبادة وما شابه ذلك. (حسان الجيلاني، 2008: ص 24)

وهذه العوامل الخمسة تكاد تكون أولى العوامل في تكوين الجماعات منذ ظهور البشرية ولذلك قامت التربية البدائية على أساسين يمكن حصرها في:

1-الإعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة، وبناء العلاقات الطيبة والسليمة مع أفراد القبيلة أو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، وهي المقصود منها التربية العملية في حيز مكاني محدود.

2-تأهيل الفرد وتدريبه على أنواع العبادات التي بواسطتها يستطيع إرضاء عالم الغيب والأرواح مما يحقق له الأمن والسلامة النفسية، وهو أساس وعماد التربية النظرية والحق أن التربية كما عرفتها تلك الشعوب البدائية حملت جملة من السمات والخصائص شبيهة بتلك التي عرفتها التربية في أكثر مراحلها نموا وتطورا، ولعلنا لا نغلو إذا قلنا أن التربية حتى الساعة تحمل في ثناياها بذور تلك التربية البدائية بل لعلها ما تزال تعاني من بقاياها ، وترزح تحت أثقالها. (عبد الله عبد الدايم، 1973 :ص14)

وعند تتبع مسار التربية وتطورها عبر التاريخ وتواجد الحضارات البشرية الأولى نجد الآتي:

2- التربية في المجتمعات البدائية

والمجتمع البدائي هو مجتمع غير متحضر يتصف بالعزلة، وعدم التغير والتضامن الاجتماعي القوي والتجانس، إذ يشترك أغلب أفراده في المعرفة والاهتمامات والأفكار والاتجاهات والأنشطة نفسها على مستوى المجتمع برمته، كما يتميز أيضاً ببساطة الحياة وقلة مطالبها فهي لا تعدو إشباع حاجات الجسم من طعام وشرب وكساء ومأوى، والأمن ضد عالم الأرواح ومن بين تلك المميزات العامة نسبة الحياة إلى الجماد أثناء تفسيرهم للبيئة المحيطة بهم، فكان الرجل البدائي يعتقد أن وراء كل قوة مادية قوة أخرى غير مادية هي القوة الروحية، وتقوم الحياة في المجتمع البدائي على تقسيم بسيط للعمل والأدوار الاجتماعية (محمد منير مرسي، 1975، ص22) .

وهدف التربية في المجتمعات البدائية هو أن يقلد الناشئ عادات مجتمعه وطراز حياته تقليداً عبودياً خاصاً، أي تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية، أما وسائل التربية في المجتمعات البدائية فهي جملة المؤسسات والنظم الاجتماعية، أو المجتمع بأسره ولا تتولى هذه المهمة بالتالي أية مؤسسة تربوية مدرسية خاصة، ولذا فإن أثر التربية في المجتمعات البدائية كان غير مباشر يتم عن طريق النقل الحي والمتصل للمعتقدات والعادات السائدة في المجتمع، وفي معظم الأحيان يكتسب الناشئة عادات الكبار ويتمرسون بمواقفهم الانفعالية والعقلية عن طريق الإسهام المباشر في أنشطتهم، وهذا الإسهام يتم أيضاً على نحو غير مباشر عن طريق التمثيل والرقص والتقليد. (عبد الله عبد الدايم، 1973 :ص15)

أما أشكال التربية البدائية ومراحلها فتأخذ أشكالاً وصوراً عديدة، فهناك الطقوس التي تلي الولادة مباشرة، وهي مظاهر أولية بسيطة لدمج الفرد في جماعته، ثم تتبعها طقوس جديدة تحدث غالباً في طور البلوغ، وتصوغ الفرد صياغة كاملة تؤدي إلى ولادة جديدة، وهي تتم تحت إشراف شيوخ القبيلة أو الجماعة، وفي هذه الطقوس الجديدة يخضع الناشئون لتجارب قاسية وأليمة، وكثيراً ما يطلب إليهم أن يتلقوا تعاليم سرية تنقل إليهم تقاليد مرعبة مخيفة، كما يتدربون بالإضافة إلى ذلك على اللغة المشتركة للجماعة، وعلى استخدام الأدوات، وممارسة الأعمال الشائعة في شؤون الحياة المادية .

جدير بالذكر أن التربية البدائية لا ترافقها أية قسوة أو وحشية باستثناء التدريب على طقوس مرحلة البلوغ. فالنظام الذي يفرض على الأطفال ليّن وسهل، لأن الطفل عبد البدائيين تجسيد للجد الذي يحمل اسمه، مما يوحي بالشعور بالاحترام .

وتقسم التربية عند البدائيين من حيث الشكل، تبعاً للتقسيم الحديث إلى جسدية وفكرية وروحية، فيما يتصل بالتربية الجسدية، فإن البدائيين يتيحون لأطفالهم مجالاً واسعاً من الحرية يستغله هؤلاء في ممارسة الألعاب الممتعة التي تقوم على تقليد الكبار في نشطتهم وقت السلم وزمن الحرب، وهذا ما يعدّهم للحياة العملية بلا شك.

أما التربية الفكرية فهي تربية يغلب عليها الطابع العملي، وهدفها أن تجعل الطفل ذكراً أم أنثى قادراً على تلبية حاجاته وحاجات أسرته فيما بعد تبعاً لنمو حياة القبيلة. ومثل هذه التربية الفكرية ليس من شأنها أن تقدم لقابليات الناشئ إعداداً منهجياً عقلانياً، غير أنها تشحذ القابليات والمهارات الضرورية التي يستلزمها طراز حياتهم .

أما ما يتعلق بالتربية الخلقية والدينية عند البدائيين، فإن الحس الخلقي لديهم ضامرٌ، وإنما تحتفظ نفوسهم بالكثير من سمات القانون الطبيعي، فهم يقدسون الأجداد ويحترمون الآباء والشيوخ، ويقدرون الشجاعة والجلد والشرف والوفاء ... الخ.

ويرفضون استخدام العقاب الجسدي، أما المشاعر الدينية التي ينقلونها لأبنائهم فغالباً ما تختلط بالمعتقدات المليئة بالطقوس الغريبة، إلا أننا نلمح بين ثناياها الأصول الأولى للحياة الدينية كالتفريق بين العالم المرئي والعالم غير المرئي، والإيمان بقوة على تنظيم الكون وتهيمن عليه والاعتقاد بوجود أرواح مستقلة خيرة وشريرة، والإيمان بانفصال روح الإنسان عن جسده عند الموت ، وفكرة الخطيئة التي تعاقب عليها سلطة غير مرئية ، وتنظيم بعض العبادات كالصلاة...الخ .(عبد الله عبد الدايم، 1973 : ص19-22)

خصائص التربية البدائية:

إن التربية في المجتمعات البدائية–التي عاشت منذ خمسة أو ستة آلاف سنة، قبل اختراع الكتابة وقبل أن تصبح للتربية مدارسها ومؤسساتها الخاصة بها– تمتاز ببساطتها وبدائية وسائلها، مثلها في ذلك مثل الحياة العامة التي كانت تحياها تلك المجتمعات البدائية في فجر الحضارة الإنسانية. وتلك المجتمعات وإن تباينت في كثير من الأمور فإنها تتشابه في كثير من المميزات العامة التي من شأنها أن تلقي ضوءا على طبيعة العملية التربوية وعلى أهدافها في تلك المجتمعات. ومن بين تلك المميزات العامة نسبة الحياة إلى الجماد أثناء تفسيرهم للبيئة المحيطة بهم، فكان الرجل البدائي يعتقد أن وراء كل قوة مادية قوة أخرى غير مادية هي القوة الروحية. ومن هذه المميزات أيضا بساطة الحياة البدائية وقلة مطالبها حيث أنها لا تعدو إشباع حاجات الجسم من طعام وشراب وكساء ومأوى، وإلا من ضد عالم الأرواح.

وبشكل عام يمكن تلخيص مميزاتها فيما يلي:

– كانت العملية التربوية تتميز بالتوزيع إذ يشارك فيها الأبوان والأسرة و العائلة.

– كانت العملية التربوية متدرجة ومرحلية وتبدأ من مرحلة الأكل إلى مرحلة الرعي ثم مرحلة الفروسية وتعلم شؤون الحرب إلى إن تصل إلى مرحلة الشيخوخة.

– كانت تقوم على المحاكاة و التقليد.

وتمتاز الأقوام البدائية بإدراكات حسية، فالسمع مرهب، والبصر حاد، والشم قوي، ينافس الكلاب، والخيال حاد يقظ، والذاكرة قوية.

أما عن التربية الخلقية والدينية فالأجداد والآباء يحرصون بشدة على نقل مبادئ السلوك السوي والتصرف السليم إلى أبنائهم، والأوامر عندهم تتصل بتقديس الأجداد واحترام الشيوخ والآباء والشرف.(عبد الله عبد الدايم، 1973: ص23–25)

3– التربية في المجتمعات الشرقية القديمة:

بتطور الحياة صعب على الأسرة القيام بعملية التربية، فنشأت مهنة جديدة هي مهنة المربين، فبعدما كانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة تطورت الأمور ونشأت المدارس النظامية، ومع هذا التحول ظهرت الكتابة وبدأت الحضارات تسجل نظمها وقوانينها وشرائعها، فتعرفنا على أساليبها التربوية وطرقها في نقل التراث وتطبيع الأفراد. ومن الأمثلة عن التربية في العصور القديمة ما يلي:

3-1- التربية لدى قدماء المصريين:

يقسم تاريخ مصر القديمة إلى ثلاثة دول: الدولة القديمة، والوسطى، والحديثة. وعاش الأقوام حول شاطئ النهر منقسمين أقساماً، لكل منها شاعر واحد ورئيس واحد وإله واحد، ثم اتحدت هذه الأقسام بمرور الزمن وكونت مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب. ثم جاء الملك مينا فوحد المملكتين، واتخذ عاصمة له في منف، وبدأ بذلك عصر الأسر في مصر القديمة. واستمرت الدولة القديمة من 3500 ق.م إلى 2631 ق.م وشملت الأسر الست الأولى، وأعقبتها فترة من الفوضى. ثم جاءت الدولة الوسطى في 2375 ق.م ـ 1800ق.م، وشملت الأسر من الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة. وبطرد الهكسوس على يد أحمس بدأ عصر الدولة الحديثة، أو عصر الإمبراطورية من 1580 ق.م إلى 1100 ق.م ، ويشمل الأسر من الثامنة العشرة إلى العشرين .(سعد مرسي وسعيد إسماعيل، 1989 ، ص74-76).

أما من الناحية الاجتماعية فقد انقسم المجتمع المصري القديم إلى عدة طبقات متفاوتة في المجد والشرف. وقد كان الفرعون المؤله وعائلته وكبار رجال البلاط على رأس المجتمع المصري القديم. يليهم الكهنة وبعض النبلاء الذين يشكلون الطبقة الأولى أشرف الطبقات وأعلاها جاهاً وغنى وسلطاناً ونفوذاً في البلاد. وقد كانت تملك ثلث الأراضي المصرية معفاة من الضرائب. والطبقة الثانية طبقة الجند والقادة العسكريين، وقد كان لكل فرد منهم قطعة من الأرض معفاة من الضرائب. وهي تقارب الطبقة السابقة في النبل، ثم الطبقة الثالثة وتتألف من زراع ورجال الملاحة، والصناع والتجار، والعمال، ثم الموالي وهم من أسرى الحرب عادة (مصطفى أمين ، 1926، ص13 – 14) .

ونظرا لتعقد المجتمع والحياة المصرية القديمة كان لابد للمصري أن يتقدم خطوات أبعد من الانجازات التربوية البسيطة، التي كانت موجودة في المجتمعات الأقل مستوى حضاري، ولتعقد الحياة المصرية القديمة لم يكن من المستطاع أن يكتسب الفرد الخبرات اللازمة في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار، ولهذا كان تعليما ونظاما مدرسيا معينا لابد من وجوده، وفتحت المدارس ومعاهد علمية أبوابها للتلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة لمجتمع ضرب سهما وافرا في التقدم الحضاري وخاصة في ميدان الصناعة، على أن غرض المدارس بصورتها النظامية كان أكثر اهتماما بالأمور المتعلقة بتعلم اللغة والأدب وأيديولوجية الدولة. وقد أخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف ومختلف الأنشطة الفنية العليا في الدولة، ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس لكل من يريد تعلمها.

أ- الدين :

المصريون القدامى من أكثر الأمم القديمة تعبداً وتديناً، ويظهر ذلك واضحاً في معابدهم ومقابرهم، ففي العصور الموغلة في القدم عبد المصريون مظاهر الطبيعة المختلفة تأثراً بالبيئة التي عاشوا فيها كالشمس والنيل، ثم عبدوا الأرض والسماء والقمر والنجوم، وكل كائن له تأثير ظاهر قوي في حياتهم. وتقربوا إليها بالعبادة وتقديم الهدايا والقرابين. وكانت الشمس أعظم آلهتهم على الاطلاق، وكذلك كثر عبّادها واختلفت أسماؤها فسميت: رع ، وآمون وهور وفتاح، وتوم، وأوزيريس. ومن أقوالهم في تحيتها: (تحية لك أيها السائح المنير الدائر في فلكه، تحية لك يا أعظم الآلهة ويا رب الأرباب). (مصطفى أمين، 1926، ص13 – 14)

وبعد ذلك في زمن ما قبل التاريخ عبد المصريون الحيوانات المختلفة: الثور والعجل والباشق والقط والكلب والتمساح... الخ، وقدسوها اتقاء لشرها أو طلباً لرضاها لما تجلبه من خير. أما في العصور التاريخية فقد اعتقد المصريون بأن أرواح الآلهة تحل فيها. ولم تكن هذه الآلهة عامة بين الناس، بل كانت خاصة، لكل إقليم إلهه الخاص به. وقد غالوا في احترامها وعبادتها وحمايتها، وكانوا يتزلفون إليها بتقديم الطعام والشراب وكل ما تحتاج إليه .

ثم عبد المصريون آلهتهم بعد أن مثلوها على شكل أصنام مختلفة، فمنها ما صورته إنسان ومنها ما صورته كالحيوان، أو رأس إنسان وجسد حيوان...الخ .

ولم يكن المصريون يعتقدون أن هذه التماثيل مجرد رموز للآلهة، بل اعتقدوا أن الآلهة تحل فيها.

ثم عبد المصريون أرواح موتاهم في عصر الأهرام، وكانوا يزينون قبورهم بكل أدوات الزينة والأسلحة وصنوف الطعام والشراب، وكانوا يعتقدون أن الميت المكرّم يرتفع إلى درجة الآلهة.

وانتهت بعض العقول الكبيرة في مصر في عهودها الأخيرة إلى ديانة التوحيد مؤمنين أن الآلهة التي تملأ المعابد والمقابر ما هي إلا مظاهر لإله واحد عالم بصير حي، وباق لا شبيه له يحكم السموات والأرض، ولا تدركه العيون .

وقد آمن المصريون القدامى بالبعث بعد الموت، وبخلود الروح، والثواب والعقاب في الدار الآخرة، كما اعتقدوا أن الأرواح تعود فتسكن الأجساد من جديد، لذا اهتموا بالتحنيط وبناء الأهرام لحفظها .

ب– النظام التربوي لدى قدماء المصريين:

كان النظام التعليمي يركز على حفظ المعلومات وتنمية المهارات، مثلها مثل الحضارة السومرية وكان على المتعلم أن يبدأ من البسيط إلى المعقد، وكان التعليم مرتبطا بأهمية الإنتاج والعمل، وذكر الدكتور عبد المحسن حمادة (1995) أن التعليم العالي كان مقتصرا غالبا على المعابد ومن أشهر المعابد جامعة (أون) أي عين شمس ومعبد الكرنك وأدفو، أن الأطفال من سن 5 إلى 11 كانوا يتعلمون " قراءة وكتابة اللغة الهيروغليفية ، وكانوا يدونون نصوصهم الدينية على خشب الأبنوس والعاج وصفحات ورق البردي ،كان التعليم في مراحله الأولى يحصل عليه عامة الناس، أما التعليم العالي فكان من جملة الحقوق التي ينالها ويتمتع بنورها إلا أبناء الفراعنة النبلاء.

ومن الحكم المصرية المأثورة في ميدان التعليم قولهم في تمجيد شأن الكتابة "كن كاتبا تبلغ المجد والثروة، وقولهم " تذكر يا يأبني أن أي مهنة من المهن محكومة بسواها إلا الرجل المثقف فانه يحكم نفسه بنفسه، " تقول د. أميرة طه بخش مثل هذا القول يكشف لنا مدى اهتمام المصريين القدماء في التربية ، بل يوضح أن المصريين القدماء ربما يكونون أول البشر إرساء لمفهوم التربية في إطاره العلمي المعاصر، ومن العبارات المتفاوتة على جدار مصري فرعوني " سأجعلك يا بني تحب الكتاب ...كما تحب أمك أو أكثر ."(وهيب سمعان، 1961، ص 61-62).

ويبدو أن مصر القديمة عرفت الأشكال الأولى من التخصص (التدرج العلمي) ، فكان كل من الكتاب والمهندسين والبنائين والأطباء والكهنة، يتلقى إعدادا مناسبا لمهنته المقبلة أما الكتاب scribes فكانوا يدرسون ثلاثة أنواع من الخط الشعبي

(dimatique) والخط الهيراطي (hierorrique) والخط الهيروغليفي، بالإضافة إلى المحاسبة والرسم والدين ، أما المهندسون والبناؤن فكانوا يدرسون بوجه خاص الهندسة وعلم الحيلة وعلم الأفنية والمياه وعلم الفلك.

أما الأطباء فكانوا أيضا يدرسون دراسات عميقة ، وكان بعضهم يختص بفن التحنيط وحده ، ولم يكن المحاربون يحصلون سوى على ثقافة أولية تضاف إليها معلومات خاصة حول المهنة ، ومما يقرره أفلاطون نفسه أن الموسيقى المصرية كانت جليلة ورصينة والكهنة كانوا يدرسون العلوم جميعا، من دين وأدب وعلوم طبيعية وفلك وطب وهندسة وموسيقى ومعلوماتهم فيها كانت واسعة جدا (...)، وكان مشاهير رجالات اليونان يفخرون بأنهم تتلمذوا عليهم.

لقد كان المصريون أول من أستخدم أوراق البردي من أجل التدرب على الكتابة ، كما أنهم استخدموا طرقا حسية في تعليم العد والأعمال الحسابية الرئيسية، وكانوا يستخدمون الأشكال في تعليم الهندسة. (عبد الله عبد الدايم، 1973م،469)

ونستخلص مما أطلعنا عليه أن التربية عند المصريين تميزت ببعدها الديني وهذا ما يفسره سيطرة الكهان على النظام العام للدولة، وكذا العلمي وهو ما يفسره حج مختلف رجالات وفلاسفة الحضارات اليونانية وغيرها لأخذ ما وصل إليه العلم والمعرفة على يد المصريين.

ج– أهداف التربية: كان الهدف من التربية الفرعونية ثقافياً ودينياً ومهنياً. فقد كانت تسعى إلى تأكيد سيطرة الحاكم ورجال الدين من ناحية، وتعليم الأفراد الذين يستطيعون القيام بالأنشطة المختلفة كخدمة الحكومة أو المعابد أو القيام بالأنشطة المهنية والفنية المختلفة من ناحية أخرى. (محمد منير مرسي، 1980 ، ص33).

وكانت المدارس في مصر القديمة لا تعلّم إلا أبناء الطبقة العليا، ذلك أن عامة الناس كانوا يقومون بتدريب أبنائهم وأقاربهم على شؤون الحياة منذ الصغر، وإن كان ذلك لم يمنع ذوي القدرات العليا من أبناء الشعب من فرض التعليم في هذه المدارس .

د– مراحلها ومناهجها :

1- المرحلة الأولية (4-10) سنوات: كان التعليم في المرحلة الأولية يتم بأساليب مختلفة منها أن الأب يقوم بدور المعلم، وإما أن يرسل بالتلميذ إلى منزل أحد المربين ليعيش في منزله ويلقنه الخبرات المختلفة، وإما أن يذهب إلى المدرسة فيتعلم فيها. وقد كانت المدرسة تسمى (بيت التعليم)، ومنهاج الدراسة يشتمل على الدين وآداب السلوك والقراءة والكتابة والحساب والسباحة والرياضة البدنية .

2- المرحلة الثانوية (10. 15) سنة: يتم الانتقال من المرحلة الأولية إلى المرحلة الثانوية بعد امتحان يؤديه الطالب، وفيما يتم تعليمه كتابة الحروف والرسم والمحاسبة والإنشاء الأدبي والجغرافيا العملية. كما يقوم الطالب بنسخ بعض الكتب المعروفة ليتمكن من اقتباس أسلوب الكتابة . وفي مرحلة تالية يقوم الطلاب بكتابة الموضوعات الإنشائية مع إطلاق العنان لخيالهم . (عبد الرزاق شفق، 1968 ، ص5 – 13)

3- التعليم العالي والجامعات: أما التعليم العالي في مصر القديمة فكان مقره المعابد، التي كانت بمثابة جامعات هذا العصر. ومن أشهر جامعات مصر القديمة جامعة أون بعين شمس، ومعبد الكرنك في طيبة ومعابد ممفيس، وأدفو وتل العمارنة. وكان يغلب على

الدراسات العليا طابع الدراسة التقنية والمهنية، حتى الأدب نفسه كان يدرس لغايات عملية وهي اكتساب الصيغ اللغوية والقدرة على التعبير ليتمكن المتعلم من كتابة النصوص القانونية والتجارية. وقد عرف المصريون التخصصات المختلفة؛ فكان هناك الكتاب والمهندسون والأطباء والكهنة وغيرهم يتلقون إعداداً مناسباً لكل منهم. أما الدراسات اللاهوتية فكانت تقتصر على الكهنة فقط ، وهم الذين كان يسمح لهم بمعرفة الأسرار المتعلقة بهذه الناحية. أما الأسرار الخطيرة فلم يكن يسمح بالاطلاع عليها إلا لأولياء العهد وكبار الكهنة، والنابهين منهم. (وهيب سمعان، 1961، ص 65-68).

هـ- طرقها وأساليبها: غلب على تعليم القراءة والكتابة استخدام الأشكال التقليدية في التدريس وأهمها التقليد والتكرار، فكان المعلمون يكتبون للأطفال نماذج يحاكونها باستخدام الأقلام والألواح الخشبية، ويجتهدون في ذلك حتى إذا نجحوا انتقلوا إلى الكتابة على أوراق البردي أما في تعلم المهن فقد اتبعوا نظام التلمذة المهنية. حتى بالنسبة للكتاب فقد كانوا يمضون بعض الوقت في المكاتب الرسمية. أما الأدب فكان يعلم بطريقة الحفظ والاستظهار، وخاصة الأدب الديني. أما مناقشة النصوص الدينية وشرحها فكانت حقاً مقصوراً على كبار الكهنة. ولذلك فقد اعتمدت طريقة تدريسها على الحفظ الآلي.

وكان النظام في المدارس قاسياً إذ كان الجَلْدُ شائعاً إذا ما أهمل التلاميذ أو قصرّوا في أداء الواجب. وكانوا يلجؤن في الأمور البسيطة إلى التوبيخ والتأنيب، وفي الأمور العظيمة إلى حبس المخالف مدة وصلت إلى ثلاثة أشهر. (مصطفى أمين، 1926، ص22)

المعلمون والتلاميذ: كان الموظفون الحكوميون يعلمون التلاميذ مبادئ الكتابة والإشراف على نسخ المواد المكتوبة التي يقوم بنسخها التلاميذ، أما ما فوق ذلك من تعليم فقد كان الكهنة يقومون به بالإضافة إلى تعليمه الدين والمحافظة على التراث الديني، فقد كانوا يدرسون العلوم المختلفة والرياضيات وغيرها.

أما بالنسبة للتلاميذ، فقد اقتصر التعليم على الذكور وحدهم وعلى نسبة ضئيلة منهم ولاسيما في مراحل الدراسة العليا، بسبب النظام الصارم والشدة التي أشاعت الخوف والإرهاب في نفوس التلاميذ. وأما الإناث فلم يسمح لهن بدخول المدارس، ولكن بنات الطبقة الراقية كنَّ يدرسن المناهج الأولية نفسها التي يدرسها الذكور على أيدي مدرسين خصوصيين، رغم ما تمتعت به المرأة المصرية من مركز ومكانة رفيعة وحرية كاملة.

و- موارد التعليم: سيطرت السلطات الرسمية والدينية سيطرة كاملة على المدارس وإن لم تنص القوانين على ذلك، بل تحكم العرف في إبقاء هذه السيطرة. ويبدو أن مصاريف الدراسة كانت قليلة جداً سواء في المدارس العامة أم في كليات المعابد. فكان الأهل يمدون أبناءهم بالطعام حتى يصل إلى صفوف مهنة الكاتب ، وبعدها تصرف له وجبات مجانية من المخازن الملكية. (سعد مرسي وسعيد إسماعيل، 1989 ، ص89 – 90)

ز- إسهامات المصريين في العلوم وفي فن التعليم: برع المصريون القدامى في فن البناء والهندسة ولا تزال الأهرامات شاهداً على ذلك، كما برعوا في ميدان الفلك والرياضيات، فقاسوا مساحات كثيرة من الأشكال وأحجامها، ورسم فلكيوهم خرائط النجوم وتجمعاتها وقاسوا طول السنة المؤلفة من 365 يوماً قبل الكلدانيين. أما في فن التعليم فقد استخدموا طرقاً حسية في تعليم

العدّ والحساب، كما استخدموا الأشكال في تعليم الهندسة، وندين لهم في إنشاء أولى المكتبات العامة(عبد الله عبد الدايم، ص41 – 51) .

3-2- التربية الصينية القديمة:

يمكننا أن نعتبر التربية الصينية النموذج الواضح للتربية الشرقية عامة فهي تمثل في شكل بين خصائص التربية الشرقية هذه التربية التي تتصف بروح المحافظة وتهدف إلى أن تجمع في الفرد حياة الماضي، وان تنشئه على عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية دون أن تقوي أي ملكة، أو تغير أي عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة (...) نرى الحياة الرتيبة والسكون المطلق والجمود هي الصفات التي تميز هذا الشعب منذ أكثر من ثلاثة ألاف سنة. (عبد الله عبد الدايم، 1973، 32)

وتعتبر الأسرة في الصين عماد المجتمع وقد ساد الزواج من امرأة واحدة مع وجود تعدد الزوجات، ولكن في نطاق ضيق ومحدود، ولم يكن الطلاق شائعا ،ولكن يمكن للزوج أن يطلق بشروط معينة وتحت ظروف خاصة، وحكمه الحياة الأسرية تتلخص في أن النساء لا يتكلمن عما يدور خارج البيت ولا يتدخل الرجال فيما يدور في البيت. (سعد مرسي ، سعيد إسماعيل،1971: ص 19)

ولعل الحضارة الصينية أبرز الحضارات عهدا بالتربية ،وأشهرها ذكرا في التاريخ فكان الصينيون يميلون إلى التأمل الميتافزيقي والبحث عن الحكمة الدينية ، لذلك نجد المذاهب الفلسفية مثل الطاوية والكونفوشوسية، لعبت دورا كبيرا في تشكيل الرؤوس المعرفية، والآداب الاجتماعية في حياة الصينيين منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى العصر الحديث، وهو الأمر الذي يثير الاستغراب، لقد أشتهر الصينيون منذ القدم بالجد المثابرة والعمل الدؤوب دون كلل أو ملل ، وإجمالا يمكن القول أن للصين تاريخا موغلا في القدم، ولها تربية شرقية عريقة تتسم بالصرامة في حفظ العادات والتمسك بالتقاليد، وتقديس أرواح الأجداد.

أ- النظام التربوي:

ركزت التربية الصينية على ضرورة عقد الاختبارات للطلاب وعلى أهمية حفظ المعلومات، ولم تنس فلسفة التربية الصينية أن تؤكد على الروحانيات، وفي الجانب الأخلاقي فإنها اهتمت بإلزام المتعلم بالقوانين والتشريعات (...)، وهناك صلة مباشرة بين حبهم لعلم الكيمياء، وارتباطهم بالقيم الروحية إذ كان هدفهم من دراسة الكيمياء هو اكتشاف سر البقاء، فكرسوا جهودهم في البحث عن مادة تهب حياتهم الخلود ، على أن هذا الاهتمام المتواصل قادهم إلى دراسة النباتات، فكتبوا على فوائد الثوم والأعشاب. (الكندري لطيفة،ملك بدر،80)

وقد عكست خصائص المجتمع الصيني، وفلسفته الدينية، حيث اعتبرت التربية عملية تلخيص للماضي، ترمي إلى أن تركز في الفرد حياة الماضي بأدق تفاصيله، بحيث لا يختلف عنه أو يتخطاه، وذلك وفقا للتعاليم الكونفوشيوسية التي أكدت أن هدف التربية الصينية هو تدريب كل فرد على صراط الواجب، أي إتباع ما هو موجود من قوانين وأنظمة وشرائع وأخلاق وعادات. ومن المبادئ التي يتعلمها النشء دراسة الفضيلة وخدمة الأقارب وكيفية اللبس والآداب والفلسفة والعلاقات الروحية، ودراسة

تعاليم كونفوشيوس ومبادئه المختلفة، وصور تنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم، والوالدين والآباء، والأزواج والأصدقاء، إلى جانب فهم وصاياه وفضائله التي شكلت خلفية التربية الثقافية الصينية، (الحاج أحمد علي، 2013: ص75)

ما ميز التعليم عند الصينيين نظام الامتحانات، فهو المعيار الأساس ي لاختبار موظفي الحكومة، ومن ينجح فيها، يكون موضع ثقة الشعب واحترامه وله لباس خاص ويحمل أوسمة، وله الصدارة في الحفلات والأعياد والمراسيم، لذلك تجرى الامتحانات تحت إشراف الحكومة، ومن قبل لجان تتألف من كبار علماء الدين، الذين سبق وأن اجتازوا هذه الامتحانات، وتنقسم هذه الامتحانات إلى ثلاثة أقسام هي:

- امتحانات الدرجة الأولى: وتجري مرة كل ثلاثة أعوام، ويوضع الممتحن في غرفة خاصة لمدة 24ساعة، وفي هذه الامتحانات يجيب الطالب على ثلاثة رسائل مختارة من كتاب " كونفوشيوس."
- امتحانات الدرجة الثانية: تقام بعد أربعة أشهر من امتحانات الدرجة الأولى، وتدوم ثلاثة أيام ،وتشبه امتحانات الدرجة الأولى، غير أنها أكثر صعوبة.
- امتحانات الدرجة الثالثة: وتقام في العاصمة، وتدوم ثلاثة عشرة يوما. (ابتسام غانم، 2019: ص237)

ويعتبر نظام الامتحانات في الصين الظاهرة الأساسية في التربية والتعليم وذلك لأن هذه الامتحانات لا تمثل القوة المسيطرة على التربية فحسب، بل أيضا تدعم الوسائل التي تؤدي إلى صيانة الكيان الحكومي والاجتماعي، ويتم عن طريقها انتخاب الموظفين اللازمين لإدارة شؤون الدولة، والناجحون في هذه الامتحانات يتمتعون بالاحترام والتقدير والإعجاب، من جميع طبقات الشعب ولهم ملابس وشارات خاصة لا يرتديها غيرهم من أبناء الشعب، ويسيطر على هذه الامتحانات تماما موظفوا الحكومة الذين يتكونون من نخبة العلماء الصينيين، الذين سبق وأن نجحوا في الامتحانات . (سعد مرسي ، سعيد إسماعيل ، 1971،37)

ولا يمكن فهم الخلفية النظرية للصين من غير التعرف على رواد الحركة الدينية ومنهم:

– لوتس Laotzu

هو مؤسس الطاوية في القرن السادس قبل الميلاد (507 ق.م) وله ثمة إصلاحات جمة بالنسبة للصينيين منها أن فكر الإصلاحي ظل قرابة ألفي سنة من ركائز الفكر الفلسفي والاجتماعي في الصين، اهتم لوتس أي المعلم الكبير بالروحانيات وبالصحة البدنية من أجل طول العمر فأكد على أهمية اختيار الطعام المفيد، رفض لوتس تدوين أقواله، لكن أنصاره جمعوا عباراته في كتاب أسمه (tao .th ching) وهو بالنسبة لهم مجموعة أقوال ترسم المنهج الكامل للحياة القديمة حيث يعيش الإنسان مع غيره بالحب لا بالعنف، ويعتبر كتاب لوتس من أكثر الكتب انتشارا في العالم.

– الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس (479 ق.م551 -ق.م)

هو المعلم التربوي الذي أستمر فكره واستقر سحره في أعماق الفكر التربوي الصيني حتى أطلق عليه لقب وأعظم معلم صيني، حاول أن يقوم بالإصلاحات الحكومية والإدارية التي من شأنها أن تساعد المحتاجين والمساكين ولقد قام طلابه بتدوين تعاليمه بعد وفاته، ولعل طفولته المحرومة تولد يتيم في المجتمع جعله يشفق على المساكين ولقد قام طلابه بتدوين تعاليمه بعد وفاته، ولعل طفولته المحرومة كولد يتيم في المجتمع جعلته يشفق على المساكين فيكون فلسفته الإصلاحية.

بدأت رحلته الفكرية مع أستاذه الفيلسوف لوتس الذي أنشأ الطاوية لكنه سرعان ما اختلف معه وأنفصل عنه. لم يدع كونفوشيوس أنه نبي يوحي إليه، فقد كان مصلحا أكثر منه رجل دين، أحترم الآلهة حرص على إقامة الشعائر، وكانت عنايته من جهة إصلاح النفس الإنسانية وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والإخاء والعدل. ويرتكز القانون الأخلاقي عنده على أربع فضائل رئيسية هي:

- وجوب طاعة الوالد والخضوع له.
- وجوب طاعة الحاكم والانقياد له.
- على الأخ الأصغر أن يطيع أخاه الأكبر.
- على الأصدقاء أن يخلصوا في معاملة بعضهم البعض

هذه الفضائل في نظر " الكونفوشوسيين خالدة ويجب على كل فرد أن يتحل بها باستمرار لأن الاستمرار في التحلي بالفضيلة، هو نفسه جزء لا يتجزأ من الفضيلة... لم يهمه الأصل العائلي لتلاميذ وأعد أكثر من ثلاثة ألاف تلميذ، وزاد عدد المتفوقين منهم على السبعين.

تتميز توجيهات كونفوسيوش بالإيجاز والتركيز على البعد الأخلاقي، فيقول في موعظته:

يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقلبها في فكره: فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح ....وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشا ظريفا، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصا، وفي تصريف شؤون عمله يحرص أن يبذل فيه عنايته، وأن يبعث الاحترام فيمن معه، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس، وإذا غضب فكر فيما يجره عليه غضبه من الصعاب وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة.

ومن روائع أقواله:

إذا اختبرت نفسي فوجدتني على خطأ، وجدتني عاجزا حتى على مواجهة الضعيف وإذا اختبرت نفسي فوجدتني على حق، وجدتني قادرا على مواجهة الألوف (عبود ، 2001، 149)

وعلى العموم فإنه يمكن أن نستخلص مما سبق أن التربية الصينية اهتمت اهتماما كبيرا بالأخلاق والعلم وهما أمران يفسران سر تماسك المجتمع الصيني رغم تعداده الهائل ويبرر أن استمرار نظامه القائم كما يتضح أن الفكر الصيني يربط الذات دوما بالمجتمع صاهر روح الفرد في روح الجماعة.

كما أن الحكمة اتخذت كوسيلة لتربية المجتمع وهي ثمرة التأمل الفردي والولاء للجماعة، والحفاظ على الموروث الثقافي وتناقله عبر أجيال المجتمع الصيني، فسر مدى ولاء والوفاء للتربية المتناقلة عبر التاريخ الضاربة جذوره في أعماق الحضارة الصينية.

3-3- التربية الهندية القديمة:

اعتنت الحضارة الهندية بتربية الطفل تربية حسنة، لأجل مستقبل زاهر، وكما يقول المثل الهندي " عندما يكون الأولاد صغار

زودهم بجذور عميقة، فإذا كبروا زودهم بأجنحة طليقة، درس الهنود العديد من العلوم، مثل الحساب والطب، ونجحوا في تمرير ميراثهم العلمي للأمم الأخرى (...) تأسست البوذية في الهند على يد الأمير سيد هارتا ناجوتاما (563-483 ق.م) الذي عرف في اللغة السنسكريتية باسم بوذا أي الرجل الحكيم، أو المستنير والمتنور، وهو مصلح اجتماعي مرموق، وفيلسوف قديم وزعيم ديني بارز) .الكندري لطيفة ، ملك بدر، 85(،2008

وتؤمن البوذية الوثنية أن السعادة تكمن في كبح النفس ، وقمع الشهوات والتفرغ للعبادة وتصفية النفس، لذلك فإن البوذية تحث على الرهبنة والعزلة والتفكير التأملي ، من أجل تهذيب النفس، عبر تمارين روحية وجسدية معينة، وتقوم البوذية على فكرة الألم الذي لا ينفك عن الإنسان إلا بالعبادة.

تميز المجتمع الهندي القديم بـ سمتين أساسيتين هما:

- الروح الطبقية: حيث كان المجتمع الهندي مقسم إلى طبقات وراثية لا يجوز للفرد الارتقاء من إحداها إلى الأخرى، بل حتى التزاوج بينهم.
- مذهب الحلول والتناسخ: يقر بخلود الروح وتناسخها، وترى أن الروح تنتقل بين أجساد عديدة، لذا يرى الهندي أن عليه التخلص من روحه التي لربما تحمل نزعات شريرة والتوجه إلى التصوف والتأمل والتخلص من حب الدنيا.

ولكل ما ذكر أعلاه تأثيره في التربية الهندية وتحديد ملامحها وهي:

-كان الكهنة وحدهم القائمون على أمور التربية.

-كانت المرأة محرومة من كل تعليم وثقافة.

-كان العقاب البدني مسموح به.

-كان التعليم مقتصر على طبقة الكهنة فقط.

-كان التعليم مجانيا، إذ حرمت الكتب المقدسة فرض نفقات أو رسوم على التعليم لأن ذلك مخالفة للسماء.

-كانت الكتابة تتم بواسطة القضبان الحديدية بالخط على الرمل أما عن أنماط التربية الهندية القديمة فتمثلت في نمطين هما :

-التربية البراهمية :سيطر رجال الدين البراهمانيون (الكهنة) على الكتابة وتعليمها، وكان هدف التعليم غرس الأخلاق الحميدة، والتحكم في العقل والإرادة والجسم من أجل اكتساب عادات التفكير والإحساس والتحكم بالجسد والسلوك وإنكار الذات.

-التربية البوذية :تتفق البوذية مع البراهمية في الاهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية وتختلف معها في الدين والأيديولوجية ونوع المدارس وتعليم البنات. وقد رفض بوذا نظام الطبقات الاجتماعي، وكان البوذيون يؤكدون على الزهد والعزلة ليحقق الإنسان انتصاره على شهواته، (ابتسام غانم، 2019: ص237)

يميز المجتمع الهندي القديم صفتان:

الروح الطبيعية من الوجهة الاجتماعية، ومذهب الحلول من الوجهة الدينية أما فيما يخص الروح الطبقية فكان المجتمع الهندي مقسم إلى طبقات وراثية castesكل طبقة منها مستقلة على الأخرى تمام الاستقلال، ولا يجوز الارتقاء من إحداها إلى الأخرى بل لا يجوز التزاوج بينها) .

وبهذه الكيفية كان المجتمع الهندي يعيش حالة من الاغتراب بين الطبقات والأفراد ، قتلت من خلالها المواهب والإبداعات، فرسمت حياة الأفراد قبل مجيئهم للدنيا.

والمجتمع الهندي كان يتكون من أربعة طبقات هي:

- طبقة البراهماتيين أو الكهان، ومنها يظهر المعلمون والمشرعون
- طبقة الكشتاريا kshatraisأو المحاربين.
- طبقة الفايزاvaysyasأو طبقة الصناع.
- طبقة السودرا sudrasأو طبقة العبيد ، (...) كان هدف الهندي وغاية كل تربية جديدة عنده أن يقتل المرء فكره وإرادته في التأمل الصوفي، وأن يخضع ميوله وشهواته ويخلع كل فكرة ليرضيه كما يتحد بالذات الإلهية، وأن أحل في مبدأ كل مبدأ.

إن الديانة الهندية لا تقرر خلود الروح وحسب، بل تقول بتناسخ الأرواح وتؤمن بتقمصها، ونظرا لخضوع الشعب الهندي إلى طقوسه الروحية التي تفرض على أفراده إفناء أرواحهم في روح العالم الكلية من أجل الوصول إلى الطمأنينة التامة والحكمة والخير. بقي هذا الأخير جامد الأفكار فاقد الحرية في اختيار طرق أخرى للعيش في الحياة.

– **النظام التربوي :** إن البراهماتيين والكهان كانوا القائمين وحدهم على أمور التربية أما المرأة التي كانت مرتبطة بالرجل ارتباطا مطلقا فقد كانت محرومة من أي ثقافة ،أما الفتيان فيبدو انه وجدت لهم مدارس ابتدائية في جميع العصور وكانت هذه المدارس تقوم في قلب الريف تحت ظل الأشجار وتحت الأروقة في المطر (...)وكانت النظم تبيح العقاب الجسدي (...) أما الدراسات الغالبة فكانت وقفا على طبقة الكهان الذين كانوا يدرسون قبل العصر المسيحي بكثير، الخطابة والمنطق والفلك والرياضيات (عبد الله عبد الدايم، 1984، ص 25-28)

- الأركان الأربعة التعاليم بوذا هي:

1-كل الأشياء والخبرات تحتلها الصعوبات والإحاطات.

2-الشهوات من أسباب المعاناة.

3-الحل هو التخلص من الشهوات.

4-الخلاص لا يتحقق إلا بثمانية آداب هي:

- العلم الصحيح.
- التطبيق.
- الكلام الحسن.
- التصرف السليم.
- الحياة الصحيحة.
- بذل الجهد.
- التفكير السليم.

- التركيز السليم.

ومن وصايا بوذا هي لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تناول مسكر. (الكندري لطيفة ، ملك بدر، 86)

وعلى العموم فقد أعطت الحضارة الهندية اهتماما كبيرا للتربية الروحية والأخلاقية والاجتماعية كما اهتمت في مناهجها التعليمية بالفلسفة والرياضيات والطب ودراسة النجوم ونشرت أفكار الزهد وإنكار الذات، وكذا الخرافات، مما أضعف النظرة الإيجابية نحو تعمير الحياة.

في التربية الهندية لم تنل المرأة حقها من التعليم كما أستعمل أسلوب الترغيب في التربية مما عزز مفهوم السلام والتسامح.

واستخدمت الحضارة الهندية الشعر في التعليم لسهولته كأسلوب في الحفظ.

3-4- التربية في بلاد فارس قديما:

ينحدر الفرس من الآريين الذين استقروا في القرن الثامن قبل الميلاد شرقي دجلة، بين بحر قزوين والخليج العربي وعرفت فارس خلال قرون عديدة إمبراطورية واسعة و قوية غزاها الإسكندر المقدوني وتتالى عليها بعد موته السلجوقيون والبارثيون والساسانيون ثم فتحها العرب في القرن السابع للميلاد.

أ- الديانة:

عبد الفرس في بداية أمرهم النجوم و الظواهر الطبيعية ثم وضع (زرادشت) ديانة مثنوية نجد أصولها في الكتاب الشهير باسم (زندافستا) و أساس هذه الديانة القول بوجود روحين متخاصمين متعارضين: هرمزد روح الخير وأهرمان روح الشر و الفضائل التي تجدر ممارستها إرضاء لهرمزد روح الخير هي الصدق والإحسان إلى الفقراء وحسن الضيافة و قد آمن الفرس بحساب الأرواح بعد موتها و بالثواب و العقاب في الدار الآخرة.

ب- النظام التربوي:

استرعى النظام المدرسي لدى الفرس اهتمام كبار مفكري العصور القديمة و لاسيما اليونان و ظل هذا النظام قائماً حتى الفتح العربي، وكانت التربية في ذلك النظام تبدأ في الأسرة فللأب في الأسرة الفارسية سلطة مطلقة وهو السيد المطاع المحترم ومثله الأعلى أن يدرب أبناءه على الفضيلة وأن يسهر على صحتهم و أن يجعل منهم خداماً نافعين للدولة ويخبرنا (هيرودوت) أن الفرس كانوا يعلمون أبناءهم أموراً ثلاثة: ركوب الخيل ورمي السهام وقول الحق وكانوا يتعهدون فيهم جملة من الصفات الخلقية الحميدة: كالطاعة ومحبة الآباء والعدل والشجاعة والاعتدال والتعلق بالشرف والسعي إلى إرضاء هرمزد وبعد السابعة يصبح الطفل بين يدي الدولة ولا ندري إذا كانت التربية تقدم لجميع الأطفال على حد سواء، وأغلب الظن أنها كانت مقصورة على أبناء الطبقة العليا ونجد في (الإفستا) بعض المبادئ المتصلة بها: (إن التربية حياة الإنسانية...بفضلها يرقى الناس إلى أسمى المناصب والرتب ويتعلمون القراءة والكتابة)، والراجح أن أبناء الفقراء كانوا لا يتلقون إلا تربية محدودة جداً ويؤكد (استرابون) وسواه من الكتاب أن أبناء النبلاء والأغنياء كانوا يتلقون في البلاط تربية يقدمها لهم أناس رفيعو الشأن ذوو خلق عظيم.

ج- مراحل التربية:

كان التعليم النظامي يبدأ في سن السابعة وفي مجال التربية البدنية كان يضم الجري و المبارزة و رمي السهام و رمي الرمح، في مجال التربية الفكرية كان يشتمل على قراءة الإفستا وعلى الكتابة، أما الدين فكان يعد الأساس الضروري لإعداد المواطن حسب الإفستا و بين الخامسة عشرة و الخامسة و العشرين من العمر كانت تتم التربية العسكرية، فكان الشاب أولاً يتلقى حزام الرجولة ثم يقسم أن يتبع تعاليم زرادشت و أن يخدم الدولة بإخلاص، ثم يأخذ بالتدرب على المبارزة و النزال واستخدام السلاح وبين الخامسة والعشرين و الخمسين من العمر ينخرط الفرس في الجندية فيشاركون في الحروب والغزوات وفي الخمسين من العمر يغدو أفاضل الناس وأعلمهم معلمين، وهنا في فارس كما لدى الكلدانيين كان السحرة هم المعلمون الممتازون و يأمرهم الإفستا أن يقيموا بينهم و بين طلابهم صلة كالصلة بين الأخ و أخيه أو بين الأب و ابنه، و يجلّ الفرس معلميهم و يضعونهم بعد موتهم في مصاف القديسين، و يبدأ وقت الدراسة مبكراً إذ كان على الشبان أن ينهضوا من النوم عند صياح ديك الصباح، و ينبئنا (استرابون) أنهم كانوا يجتمعون منذ الفجر عند الساحة العامة و كأنما يستعدون لحمل السلاح أو الذهاب إلى الصيد ثم ينقسمون فرقاً عدة كل منها خمسة عشر شاباً و يسيرون مسيرة طويلة بإشراف معلميهم، ثم تأتي التمرينات الفكرية لتتخلل التمرينات العسكرية ولم يكن منهاج الدراسة واحداً للجميع، فمنهاج المحاربيين يضم الدين والقراءة والكتابة و التربية البدنية بوجه أخص، و منهاج السحرة أوسع و أرحب يضم الدين والتاريخ و الرياضيات و الفلك والتنجيم و غيرها...

واضح أن هذه النظام التربوي نظام ييسر سيطرة الدولة على التربية و ينتقص من حق الأسرة في تربية أطفالها، ثم إن جانباً كبيراً من الناس لم يكن يصيبهم سوى حظ ضئيل من التربية زد على ذلك أن التربية البدنية تولى عناية كبيرة على حساب التربية الفكرية و مع ذلك استطاعت تلك التربية أن تحقق نتائج قيمة فعرفت فارس العديد من الكتاب و الشعراء الكبار على مر العصور كما استطاعت أن تكون قوة عسكرية ذاع صيتها ومكنّت للإمبراطورية الفارسية ووسعت حدودها. (عبد الله عبد الدايم، 1984 ، 42)

3-5- التربية في بلاد الرافدين قديما :

يمكن اعتبار المدارس من أولى المؤسسات التي نشأت في العراق القديم، وكانت تلك النشأة متزامنة مع النهضة الحضارية الهائلة التي حدثت في تلك البلاد بعد ثورة الاستيطان المدني التي حدثت في أرض (سومر) في أواسط الألف الرابع ق.م، وكانت نتيجة مباشرة ومُكملة لابتكار أقدم طريقة للتدوين عرفت بالكتابة المسمارية، والتي أبتدعها أبناء الرافدين في مدينة (الوركاء) السومرية (طبقتها الأثرية الرابعة) في حدود 3200 ق.م، التي هدفت أساساً ببداياتها الصورية البسيطة لتسجيل واردات المعابد الاقتصادية... لتنتشر بعدها الثورة الفكرية والثقافية في جميع أنحاء العالم القديم فاتحة عهد جديد في تاريخ الإنسانية عرف بالعصور التاريخية.

- التربية عند الكلدانيين :الكلدانيون شعب آسيوي، سكنوا البقاع الخصبة بين نهري دجلة والفرات. وقد عرفوا المدارس، وكان

معلموهم من السحرة، والمعابد هي المراكز الرئيسية للنشاط الفكري. وقد كانت للكلدانيين لغتهم الخاصة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية. أما التربية العالية فقد اقتصرت على السحرة والطبقات العليا من المجتمع. وكان التعليم فنيا وعمليا بالدرجة الأولى، وهدف إلى تكوين تجار وكتاب. كما اهتموا بدراسة الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة. وكشفت الحفريات عن مجموعة من مؤلفاتهم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية. وقد انقرض الكلدانيون، غير أنهم أورثوا الأمم من بعدهم حضارة متقدمة عميقة الجذور، (همشري عمر أحمد، 2007: ص ص52-53)

التربية عند البابليين والأشوريين :البابليون هم شعب كان يقيم في أسفل حوض نهري دجلة والفرات، بينما سكن الأشوريون في الجزء العلوي. كان شعبهما نزاعا إلى التدين، كما عرف المدارس، وكانت المعرفة ضرورية لديهم لتوفير الهناء والرفاهية للأفراد، ويحتفظون بوساطتها بسمعة وطنهم أمام سواهم. كما عرف شعبهم جدول الضرب والنظام العشري في العد، ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات، والفلك والرياضيات، وأوجد نظام الأسبوع المؤلف من سبعة أيام والتشريع والنظام وأشهرها شريعة حمورابي (2342-2288ق.م) ،كما وضع الأشوريون تصنيفات مهمة للمملكتين النباتية والحيوانية. (ابتسام غانم، 2019: ص238)

وتمتد جذور المعرفة والتعليم في حضارة وادي الرافدين إلى فجر التاريخ إذ بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، ولعب العراق دورا بارزا في نقل مشعل الحضارة إلى خارج رقعته الجغرافية عبر المراكز الحضارية في سومر التي ظلت ثقافتها مزدهرة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة، وقد دل مسح النصوص التي يمكن إرجاعها للألف الثالث قبل الميلاد إلى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تسبق ظهور الأزمنة البابلية القديمة، كما ظهرت في عصر حمو رابي مدارس لنسخ الكتب وتعليم الناشئة، ولقد أسست أول مدرسة في العالم في بلاد ما بين النهرين وغدا التعليم نظاميا في بلاد سومر بعد أن ازدادت المدارس زيادة ملحوظة، وفي أوائل القرن العشرين تم اكتشاف عدد من الألواح المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الإدارة والاقتصاد، كما تظهر الألواح أن أعداد من مارسوا الكتابة كانوا بالآلاف، وقد مدت الاكتشافات الأثرية بما يتعلق بالمدرسة في بابل القديمة، إذ بينت أن فيها غرفا تحتل وسطها مصطبات وأوطئه من الحجر تسع الواحدة منها لاثنين وثلاثة وأربعة طلاب، وكانت تنشر مجموعة من الألواح لممارسة الكتابة

وقد عرف العراقيون القدماء علوم الجغرافيا والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة فضلا عن الآداب، وكانت رواتب المدرسين تدفع من أجور الطلاب، كما أن التعليم كان مقتصرا على الأغنياء وعدد قليل من الفقراء، وقد كان للمرأة نصيب من التعليم إذ دلت الاكتشافات أن الكثير من النساء في العصور البابلية كن متعلمات، أما نظام التعليم فقد كان صعبا إذ كان على الطالب أن يواظب على دروسه يوميا من الشروق وحتى المغيب، وسنين الدراسة كانت طويلة فالطالب كان عليه أن يلازم المدرسة منذ صباه إلى أن يصبح شابا، وكان مدير المدرسة يدعى (أب المدرسة) وكان يلقب بالأستاذ احتراما له وكان ينظر إليه بعين الإجلال والوقار، أما المعلم فكان يتمتع بمركز اجتماعي مرموق فهو أعلى من الكاهن والضابط والوالي ويلقب بالعلاّمة أو الأستاذ، أما التلاميذ فكانوا يسمون أنفسهم (أبناء المدرسة) وكانوا يتمتعون أيضا بمكانة محترمة في المجتمع، أما فيما يخص

المكتبات فقد كانت منتشرة في كل المدن الإقليمية تقريبا وعلى مسافة منتظمة لكل مكتبة وكانت توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها وقد تم العثور على اكبر مجموعة من الألواح والتي كانت تتمثل بالمكتبة الخاصة بآشور بانيبال في نينوى إذ عثر على (2500) لوحة سليمة ومحكمة في مجموعته. (همشري ، 2007: ص62-64)

3-6- التربية عند العبرانيين (بنو إسرائيل):

لا توجد إشارات تاريخية دقيقة وصحيحة عن العبرانيين، ولا يوجد كتاب تاريخي يثبت علمياً أنهم هاجروا من جزيرة العرب على اعتبار أنهم شعب واحد ذو صفة جنسية واحدة أو جماعات آمنت بديانة واحدة، وجمعتهم ظروف واحدة. لذلك، واستناداً إلى التحليل العلمي للتاريخ واستنباط الحقائق العلمية وابتعاداً عن أقوال المؤرخين المتعصبين للصهيونية والحاقدين على تاريخ الأمة العربية والمزورين لكثير من الحقائق التاريخية، والذين اعتمدوا على الأساطير الواردة في التوراة التي كتبها المؤرخون اليهود بعد عهد موسى (عليه السلام) فترة طويلة، وفي فترات زمنية متباينة، وما لحقها من تشويه كما تذكر الشيء الكثير عن هؤلاء القوم، بل برهنت عكس الأساطير الواردة في التوراة . (عامر سليمان، 1978: ص360 – ص364)

وتذكر بعض النصوص المسمارية المكتشفة حديثاً أن جماعة من المرتزقة الأجانب الذين يطلق عليهم (الخابيرو) أخذوا يدخلون البلاد من الجهة الجنوبية، وقد فسر بعض العلماء هذه الكلمة الاكدية مرادفة لكلمة عبري وعبراني بمعنى: الذي يأتي من الجانب الآخر، أو بمعنى: العابر وهذا هو عين الحقيقة والتاريخ. لذا فالنصوص المسمارية الكثيرة الواردة من أماكن مختلفة شرقاً وغرباً تصف هؤلاء القوم بأنهم عبيد ومرتزقة وبأنهم يبيعون أنفسهم باختيارهم لمن يشتريهم، ولا نجد ارتباطاً عرقياً يجمعهم، وإنما عناصر متباينة، كنعانية وحورية، وحشية وغير ذلك من المغامرين الأفاقين والعصابات الصحراوية التي لا ارض لها، كما هو حالهم اليوم. أما التاريخ من وجهة نظر اليهود، فيزعم أن هناك ثلاث هجرات رئيسية مرت بهم، وهي: هجرة إبراهيم الخليل (عليه السلام). وهجرة اقترنت مع هجرة الآراميين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ودخول الهكسوس إلى مصر. والهجرة الثالثة تتمثل في خروجهم من مصر بقيادة موسى ويوشع في حدود 1290 ق.م . وقد بينت الوثائق المسمارية التي اكتشفت في منتصف القرن الماضي زيف الكثير مما كتبوه عن أنفسهم وأنه مستنسخ عن تاريخ الأمم السابقة.

أما من الناحية الاجتماعية والدينية، فقد كانت هذه الجماعات تعيش حياة بدائية مرتحلين من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ لمواشيهم برئاسة شيخ القبيلة. وفي هذه الفترة من التاريخ وقبل نزول الديانة اليهودية على العبرانيين، فإنهم كانوا قوماً وثنيين يعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف كما عبدوا الأفعى لأنها تمثل الحكمة والخلود (وول ديورانت، ص331)، إلا أن ديانتهم الوثنية لم تترق كثيراً ، فكانوا لا يعرفون اليوم الآخر والجنة والنار .

ومن أعيادهم المشهورة (عيد المظال أو عيد الحصاد)، وفيه كانوا يسكنون تحت أغصان الأشجار لمدة أسبوع يجتمعون ويقدمون العطايا لخدام الله والفقراء والغرباء ويقصون الأحاديث عن تاريخهم . ومن أعيادهم أيضاً (خدمة الفصح) وهو اجتماع يتم في

منتصف الليل يتناولون خلاله الطعام، ثم يصغون بصمت إلى تلاوة قصة الدم المرشوش والملاك المهلك والخروج العظيم من أرض العبودية، وكان يدعى إليه الآباء والأبناء فقط ويقام في أورشليم (ألن هوايت، 1970 ص47 – 49)

وقد اهتم العبرانيون بالتربية اهتماماً كبيراً فهي القوة التي استطاعت أن تبقي عاداتهم واعتقاداتهم على مر العصور، على الرغم من تشردهم في بقاع الأرض . وقد مرت بمرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى : التربية الدينية والقومية :

لقد كانت التربية لدى العبرانيين في العصور الأولى تربية اسرية منزلية، فلا نجد لديهم قبل ظهور الديانة المسيحية أي أثر لمدارس عامة للصغار على الأقل، بل كانت حياة الاسرة هي قوام هذا المجتمع البدائي الذي كان يجهل معنى الدولة والرئيس. ولا يتخذ رئيساً إلاّ الاله. فكان الطفل يربى على الإخلاص للإله (يَهْوَه) ، ولم يكن هناك معلومات كثيرة يتعلمها، بل كان يتعلم القواعد الخلقية والمعتقدات الدينية عن طريق المثال والقدوة، ولا عجب في ذلك فالإنسان الكامل عند العبرانيين هو التقي الفاضل الذي يبلغ هذا المثل الأعلى الذي سنّه الاله نفسه في التوراة . إذ قال (كونوا قدّيسين مثلما أنا قديس، أنا ربكم الخالد). أما النظام فكان قاسياً كما تدل على ذلك نصوص عديدة في التوراة. وقد كان ضرب الأطفال جائزاً بل واجباً. وكان الفتيان وحدهم يتعلمون القراءة والكتابة، أما الفتيات فكن يتعلمن الشؤون المنزلية و...، ومن هنا فالتربية الفكرية لدى العبرانيين القدامى كانت ثانوية، أما العمل الرئيسي في نظرهم فهو التعليم الخلقي والديني والتربية القومية .

المرحلة الثانية : تقدم التعليم العام .

لقد اختلفت أحوال التربية عند العبرانيين بعد ظهور الديانة المسيحية، وزاد اهتمامهم بالتربية الفكرية كثيراً، فأصبحت التربية عامة تهدف إلى تعليم الأطفال شؤون الثقافة والفكر، بعد أن كانت قاصرة على تعليم المبادئ الخلقية الطيبة، والعادات الدينية المقدسة. فقد حاول اليهود الانتقام لأنفسهم من انتشار الدين المسيحي وذلك عن طريق الثقافة والعلم. وتحقيقاً لهذا الغرض فقد فرض الكاهن اليهودي جوزيا بن جامالا (Jose' Ben Gamala) على كل مدينة إنشاء مدرسة، تحت طائلة العقوبة والحرمان لمن يمتنع. وقد أوجب على كل مدينة يخترقها نهر دون أن يكون هناك جسر قوي يعبر عليه ضرورة إنشاء مدرسة في الضواحي، ويتضح مدى اهتمام اليهود بإنشاء المدارس في هذه المرحلة من الفقرة الواردة في التلمود: (إذا لم يجاوز عدد الأطفال خمسة وعشرين، قاد المدرسة معلم واحد، و إذا جاوز هذا العدد، فعلى المدينة أن تؤجر مساعداً له، و إذا جاوز الأربعين لزمها معلمان). (خليف الطراونه، 2004. ص47 .48)

وقد كان الطفل العبراني يدخل المدرسة في سن السادسة، يتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئاً من التاريخ الطبيعي، وكثيراً من الهندسة والفلك، أما الطريقة المتبعة في تعليم القراءة والكتابة فهي الطريقة الشرقية، أي الحفظ والتكرار الآلي الرتيب، كما هو الحال في الكتاتيب، وكان الأطفال يستعملون التوراة في تعليمهم، كما كان المعلمون يهتمون باللفظ الصحيح، وتكرار الشرح كثيراً، وتقديم النصائح الخلقية في دروس القراءة.

أما طريقة التدريس في هذه المرحلة فقد كانت جذابة ومشوقة . والنظام كان ليناً بعض الشيء ويقول التلمود (عاقب الأطفال بإحدى يديك، وداعبهم بكلتيهما) ومع ذلك فقد سمحوا باستخدام العقاب البدني لمن جاوز الحادية عشرة من الأطفال، إذ يجوز حرمانهم من تناول الخبز أو الضرب . (سعيد التل، 1993: ص 13 – 14)

أما ما يؤخذ على التربية العبرانية، إنها اختلفت عن التربية الشرقية في جانب مهم وأساسي فالذي يميز التربية الشرقية عامة هو: روح المحافظة والجمود والحد من حرية الفرد للألوهية المشخصة، أما العبرانيون فقد اهتموا بنمو الشخصية الحميمة مع الإله والمسؤولية الفردية تجاهه.

كما تميزوا بالحقد والحسد وضيق النظرة لكل من عداهم من أفراد الجنس البشري، أما في

النواحي الأخرى كتنظيم المدارس ومناهج الدراسة وأساليب التدريس فلم يشذوا عن الطابع الشرقي . (عبد الله عبد الدايم: ص29 – 32)

– **النظام التربوي :** كان على الطفل أن يتربى على أن يكون مخلصا (يهوه)، لذا لم يكن عليه أن يكتسب معلومات واسعة، بل يكفيه أن يتعلم عن طريق المثال والقدوة القواعد الخلقية والمعتقدات الدينية (...) والإنسان الكامل في نظر العبريين هو التقي الفاضل الذي يبلغ هذا المثل الأعلى الذي سنه الإله نفسه في التوراة إذ قال ((كونوا قديسين مثلما أنا قديس، أنا ربكم الخالد)) ،أما النظام فكان قاسيا، كما تدل على ذلك آيات عديدة في التوراة، وكان ضرب الأطفال جائزا بل واجبا .

كان الفتيان وحدهم فيما يظهر يتعلمون القراءة والكتابة، أما الفتيات فكن يتعلمن الغزل والحياكة وتهيئة الطعام ورعاية الشؤون المنزلية، والغناء، والرقص أيضا (...) كان الآباء يعلمون أبناءهم التاريخ القومي والحوادث الكبرى التي رسمت مصير "شعب الله " وكانوا يقيمون الحفلات الكبرى والمواسم تخليدا لذكرى هذه الحوادث يشهدها الأطفال فتملأ نفوسهم شكرا لله وحبا للوطن.

حاول اليهود، بعد انتشار المسيحية وغلبتها أن ينتقموا لأنفسهم من انكسارهم هذا بالثقافة والعلم، شأن أكثر الأمم المغلوبة القوية التي تحتفظ بعد الفتح كالأمة البروسية بعد معركة (يينا) والفرنسين بعد الحرب السبعين.

لقد كان اليهود عبر التاريخ أكثر الأمم اهتماما بالعلم والبحث عن المعرفة، بل وقد كان لهم السبق في كثير من اكتشاف الحقائق العلمية ففي عام 64قبل الميلاد فرض الكاهن جوزيا بن جمالا jose ben djamalal على كل مدينة إنشاء مدرسة، مهددا من يمتنع بالحرمان ، وفي التلمود إذا لم يجاوز عدد الأطفال خمسة وعشرين قاد المدرسة معلم واحد، وإذا جاوز هذا العدد، فعلى المدينة أن تؤجر مساعدا له وإذا جاوز الأربعين لزمها معلمان.

وقد أختلف منهج التربية ونظامها بعد انتشار المسحية بين المجتمع اليهودي عما كان قبلها حيث أنه:

كان الطفل يدخل المدرسة في السادسة، يتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من التاريخ الطبيعي وكثيرا من الهندسة والفلك، أما الطرق المتبعة في تعليم القراءة والكتابة فيطلعون عليها رينان renanفي كتابه عن حياة يسوع حين يقول: علم يسوع القراءة والكتابة وفق الطريقة الشرقية، بأن يوضع بين يدي الطفل كتاب يردده مع رفاقه على إيقاع ونغم إلى أن يستظهره (...)، وكانت طرق التدريس في هذا الطور جذابة ومشوقة والنظام لينا بعض الشيء، لا ترى فيه الغلظة والقسوة التي كانت قبل العصر المسيحي،

ومما يقوله التلمود ((عاقب الأطفال بإحدى يديك ، وداعبهم بكليتهما.((ونستطيع أن نخلص إلى أن للتربية اليهودية طابعا مختلفا بعض الاختلاف عن غيرها من أنواع التربية الشرقية فالذي يميز التربية الشرقية عامة هو روح المحافظة، والحد من حرية الفرد، والحيلولة دون نموه الشخصي أما اليهود فقد كان المظهر الديني والخلقي هو الغالب عندهم، وكان تصورهم للألوهية الشخصية ولاعتقادهم بالصلة المشخصة الحميمية مع الإله والمسؤولية الفردية تجاهه اثر في نمو الشخصية الفردية.

ويعتبر المجتمع اليهودي من أكثر المجتمعات انغلاقا على نفسه، بدليل عدم تأثره بالحضارات ، والثقافات التي حل بها أو حلت بين أفراده ،ودليلا واضحا على استمرارية تمسكه بتقاليده وقيمه التي نشأ عليها رغم تفاوت الزمن وتطور الحضارات فبقى له السبق في التأثير دون التأثر بمن هم حوله رغم تشتت افرده عبر البسيطة في حقب زمنية طويلة لم يستطيع لململة بعضه إلا في الفترة الأخيرة من خمسينيات القرن الماضي حيث استطاع أن يجد له مكانا على ارض فلسطين، محققا لهدف كان قد رسمه آباؤهم، منذ قرون خلت ذاقوا فيها طعم الضياع والتشتت عير قارات العالم إلا أنهم تمسكوا بما تكمن فيه كل القوة وهو العلم وهو ما يتضح من خلال جوائز نوبل التي نال اغلبها علماء من اليهود. (عبد الله عبد الدايم، 1984، 30)

وكحوصلة للتربية الشرقية يتجلى أن التربية بهاته الحضارات كانت محافظة إلى حد ما وغير متجددة تلتزم بالحراسة في الحفاظ على المورث الثقافي والتقليدي ،وتعتمد في أسلوبها التعليمي على الحفظ ولاستظهار، ولا تعطي الحرية للأفراد لإبراز إيداعاتهم ولعله أسلوب أنتهج قصد السيطرة والمحافظة على استمرارية الأنظمة واستقرارها ودوام الدول.

4- التربية اليونانية:

تختلف التربية اليونانية عن التربية الشرقية وتتباين تباينا تاما فعلى حين نرى أن روح المحافظة والجمود والحد من حرية الفرد هي التي تتميز التربية الشرقية، نرى أن روح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية، هي التي تميز التربية اليونانية، فاليونان فسحوا المجال واسعا لنموا الشخصية الفردية في جميع مظاهرها، السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية، وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة، الجميلة فكان التكوين الروحي للفرد موضع عنايتهم وتكامله النفسي و تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهمإن اليونان القديمة تعطينا مثالا خالدا لعلاقة التربية بالمجتمع ولتكيف التربية وفق تطور المجتمع، فقد كانت اليونان القديمة في القرن السابع قبل الميلاد بلادا زراعية كانت التربية فيها بسيطة، تعتمد على تكوين النشء تكوينا رياضيا عسكريا. (محمد فاضل الجمالي،1967: ص 67)

لقد أثرت الثقافة المصرية القديمة تأثيرا مباشر، على العالم الموجود في ذلك الوقت وبالأخص على اليونان القدماء فقد لعبت مصر دورا هاما في الثقافة الهيلينية، وفيما قبلها من الثقافات التي ورثها الإغريق (...)،واختلط الإغريقيون بالمصريين في عهد الأسرة السادسة والعشرين ، ومن ذلك الوقت بدئوا يحيون مكانتها العلمية ويفدون إليها طلبا للعلم والمعرفة (...) فتعلموا عن المصريين علم جسم الأرض ثم طوروه إلى علم الهندسة وأخذ ((سولون)) الذي تعلم في جامعة عين الشمس القديمة القوانين المصرية القديمة وصاغ منها تشريعات اليونان في مجالات الحياة المختلفة ومنها المجال التربوي، (محمود السيد سلطان، 1979 : ص33-34)

يعتبر اليونان شبه جزيرة تتبعها مجموعة من جزر البحر الأبيض المتوسط وهي ذات مناخ معتدل تضاريسها عبارة عن جبال ووهاد وعلى أرضها وجدت مدن كثيرة كانت تسمى كل منها دولة، ولكل من هذه الدول نظام اجتماعي ذات قوانين وأنظمة خاصة تتراوح بين الديمقراطية والاستبدادية كما كان لكل منها، ألهتها وهكذا نحن ستختار نموذجين من هذه الدول إحداهما إسبرطة والأخرى أثينا، لأنها يمثلان نوعين مختلفين من النظم الاجتماعية والثقافية بوجه عام، وهذا لنقف على التربية في كل منهما.

أ – التربية الإسبرطية:

كان المجتمع الإسبرطي طبقات مثل شقيقه المجتمع الأثيني، وكان الحكم أرستقراطيا عسكريا هدفه إخضاع الفرد للدولة ، نجد إسبرطة كانت تحافظ على التراث الثقافي المورث، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المتوازنة عن الكون والآلهة، ولذلك اتسمت ثقافتها بالجمود، وانعكس ذلك كله في فكرها التربوي وفي نظامها التربوي ولذلك استهدفت إعداد الفرد للدولة واتخذت من الطاعة العمياء للقانون ومن التربية الجسدية، ومن التقشف وضبط النفس والشهوات، وتحدي الصعاب، وسائل لتحقيق هذا الهدف.

وفي سبيل تحقيق ذلك فإن الدولة (اسبرطة) تمتلك الطفل منذ ميلاده وتخضعه لاختبارات الحياة والموت عن طريق مجلس من الشيوخ، وترعى الأم طفلها لمدة سبع سنوات في البيت ثم تتولى مؤسسات تشرف عليها الدولة أمر تربيتهم بواسطة مربي ومساعدين لهم ويصبح ابن الدولة، ويخضع لنظام قاس من التربية التقشفية إعدادا للحروب ، وغلب بهذا الشكل على التربية الإسبرطية طابع التربية العسكرية، واحتقار التدريب العقلي والأدبي في مناهج التعليم، الشجاعة النابعة من التمرينات الرياضية الشاقة كانت من أهم القيم التربوية في حياة الفتيان والفتيات وكانت كل المواعظ والمتوارثة والتدريبات القاسية تعمل على ترسيخ هذه الفضيلة في نفس المواطن الإسبرطي لدرء المخاطر الخارجية وتأمين حياة قوية وحضارة متفوقة، انبثقت مجموعة قيم اسبرطية من قيمة الشجاعة مثل قيم الصبر والتعاون ،وتحمل المشاق ،وضبط النفس والثبات والخشونة في العيش ،والطاعة العمياء للقادة ، والولاء المطلق لهم واحترام النظام ويقال أن المثال الحسن للتربية الإسبارطية، هو ذلك الشاب الذي إذا ضرب ضربا مبرحا بالجلد يتحمل الضرب بكل سرور، بدون أن يصرخ وأن يبدي أثار التألم ، ويقال أن الحكيم ليكوغرس هو الذي وضع أسس هذه التربية الإسبارطية، وهي على جانب عظيم من الجفاف الفكري والفقر الفني ، ويروى أن الإسبارطيين لم يكترثوا بتعليم القراءة والكتابة.

ومما سبق يبدو جليا أن التربية الإسبرطية باهتمامها المطلق ببناء الأجسام والخشونة دون اهتمامها بالجانب الفكري الفني والتربوي والتعليمي دلالة على شعور هذا الشعب بعدم الأمن والاستقرار نتيجة الحروب الدائرة بين الأمم ذلك الزمان وهو تطرف منهجي في تناول الحياة مما جعلها يهملون حياة الفكر والروح والفن.

ب – التربية الأثينية:

وتختلف التربية الأثينية اختلافا بينا عن التربية الإسبرطية سواء في أهدافها أو في وسائلها فهدفها أن تخرج فردا حكيما في أدائه وواجباته وفي استخدام حقوقه هذا إن كانت من ضمن أهدافها أن تخرج شخصا قويا شجاعا في الحرب فإنها اختلفت مع إسبرطة أيضا في طريقة إعداد وفي حين اعتمدت إسبرطة على الدولة في تنشئة الطفل أولت التربية الأثينية للأسرة قدسية واعتبرتها ركيزة في تنمية الطفل وتشكيل شخصيته. (محمود السيد سلطان، 1979 : ص45-46)

وكان الأثيني غيور على زوجته وأبنته وتتزوج البنات في سن الخامسة عشر وأقل أحيانا أما الرجل فلا يتزوج إلا بعد سن الثلاثين، ونساء الأحرار قل ما يخرجن إلا بإذن من الزوج وحراسة عبد، وتمضي الفتاة وقتها في تعلم الفنون المنزلية تحت إشراف أمها وتهتم بجمالها ومظهرها. (سعد مرسي أحمد، 1986: ص126)

ويمكن تلخيص أهدافها في أنها استهدفت تكوين المواطن الكامل جسما وعقلا وخلقا لكي يذود على وطنه وقادر على الإسهام في فكره وثقافته متزنا في شخصيته قادرا على استثمار إمكانياته الجسمية والعقلية والروحية ، وفي ظلال الحرية الفكرية، وفي ظلال الأشجار الوارفة نمى الفكر الأثيني وترعرع فأبدع، وأثمر نظريات وفلسفات ظلت تؤثر في العالم بعدها ومازالت تؤثر، وخلدت مفكرين في الفلسفة والسياسة والاجتماع والتربية مثلا أفلاطون وأرسطو و السفسطائيين.

- السلم التعليمي:

يلتحق الطفل بالمدرسة حوالي سن السابعة، ويدرب على كل التمرينات الرياضية كالجري والرقص، والسباحة، وتدليك الجسم بالزيوت والمصارعة ورمي القرص والرمح، كما كان يدرس الموسيقى لتهذيب ذوقه الأدبي ولتنميته خلقيا وكان يتعلم القراءة ويجيد الكتابة والحساب والأغاني الوطنية، والشعر والطريقة التي اتبعت في التعليم هي الطريقة التركيبية ، فيتعلم التلاميذ الحروف ثم المقاطع ثم الكلمات، ويبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل ثم على الشمع ، ودرس التلاميذ الجغرافيا عن طريق إلياذة هوميروس ، وينتقل الأثيني إلى مرحلة الجندية من سن الثامنة عشر إلى العشرين.

كان من نتائج التربية الجديدة أن عرفت الثقافة والتربية اليونانية انتشارا واسعا عبر العالم وهذا يظهر من خلال انتشار مؤسسات راقية أبرزها مدرسة أفلاطون 376 ق .م ومدرسة أرسطو من الليسيوم 335 ق.م . ثم مدرسة زينون، مدرسة أبيقور، ثم توحدت هذه المدارس وشكلت جامعة أثنيا التي استمرت حتى عهد جوستينيان حيث أغلقت عام 329ق.م ، إثر انتشار الدين المسيحي. (عبد الله الرشدان، نعيم جعنيني، 1999: 125)

إن هذا العرض المجمل يعطينا صورة واضحة عن الفروق الجوهرية بين التربية الإسبرطية والتربية الأثينية القديمة ولكن هذه الفروق سوف تتسع مع تطورات أثينا، ففي النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد بدأت التطورات الجديدة في حياة أثينا، فبتأثير (ثموسيتوقكس) أصبحت أثينا أعظم قوة بحرية وكانت تجارتها مزدهرة ونشأت بذلك طبقة تجارية ثرية جديدة، تخاصمت مع كبار المزارعين على النفوذ وأدى الخصام إلى تأسيس ديمقراطية أدت هذه الأخيرة إلى تطورات في نظام التربية والتعليم.

السفسطائيون:

نشأت طبقة جديدة من المعلمين السفسطائيين، وهم جماعة قدموا إلى أثينية من الخارج بقصد إعداد الأثينيين للحياة العامة لقاء أجور معينة ومع أن السفسطائي تعني "الحكيم " إلا أن بعض هؤلاء كانوا مشعوذين ،ولذلك فقد اتخذت الكلمة معنى مزدرى به أحيانا بالرغم من بروز أشخاص من مثال " بروتاغورس " هم فلاسفة حقا (...) هذا وأن جماعة من الشبان عنيت بالتقاليد العلمية اليونانية والفكر اليوناني سافروا إلى خارج أثنية ليتعلموا على أيدي السفسطائيين من أتباع فيثاغورس والجمعية الدينية التي عنيت بالعلوم الرياضية. (محمد فاضل الجمالي،1967: ص 71)

ومن أبرز المساهمين في تغيير التربية اليونانية من فلاسفة وحكماء ومفكرين:

1-سقراط:

لم يمض نصف قرن على ازدهار الثقافة الجديدة على أيدي السفسطائيين حتى برز بعض المعلمين من أبناء اثينة نفسها ، وقد ظهر قبل انتهاء القرن الخامس للميلاد سقراط الذي عاش بين سنة 429و 399 قبل المسيح ، ويعده البعض أعظم شخصية فكرية أنجبتها أوربا في تاريخ الفكر الإنساني، إن سقراط كان نحاتا من حيث المنشأ ولكنه مفكرا عميقا في حياة الإنسان، وفي حياة المجتمع ، وكان مؤمنا بالله وبالحياة الروحية وبالحياة بعد الموت ، كان يعتقد بأن وراء عالم المحسوسات المتغير عالم المفهومات الثابت، فوراء المفردات الحسية الفكر، هو بذلك مهد لفلسفة كل من أفلاطون وأرسطو طاليس.

إن سقراط كان مؤمنا بالله كما أسلفنا ، وبالحياة بعد الموت وناقدا للمجتمع ولما تسرب إليه من فساد، وإن اتصالاته المستمرة مع الشباب أوجدت حركة، اجتماعية ضد الأوضاع السائدة الأمر الذي حمل الأثينيين على محاكمة سقراط بتهمة إفساد الشباب وتسميم أفكارهم فحكمت عليه المحكمة المؤلفة من خمسمائة شخص بالأكثرية بالموت بشرب السم.

كان سقراط السفسطائي الحر الثائر على التقاليد، يعيش في مرحلة ازدهار أثينا فكانت أفكاره التربوية تدور حول الإيمان بالفرد واعتباره أساس الجماعة ومصدر الحق والخير والجمال والفضيلة، ومن ثم كانت يري ضرورة تنمية الفرد من حيث هو إنسان لا من حيث هو عضو في جماعة. وكان أرسطو يعيش في فترة سيطرة الرومان على بلاد اليونان في جو أشبه بالجو الذي كان يعيش فيه أستاذه أفلاطون ولذلك رأي –كما رأي أستاذه – سيطرة الدولة على شئون التعليم إلا أنه بينما كان تفكير أفلاطون في الاتجاه المثالي نجد أرسطو أكثر ميلاً للواقع ولذلك لم يمتد نظامه التعليمي إلى أكثر من سن الحادي والعشرين.

2-أفلاطون:

ولد أفلاطون(429-347 ق.م) من أسرة ارستقراطية وتتلمذ على سقراط في سن العشرين بينما كانت الحرب مشتعلة بين دولة اثنيا من الشقيقة اليونانية اسبرطة (...) بنى أفلاطون نظريته على أساس نظرة للمجتمع العادل الفاضل المثالي الذي يوضع فيه كل فرد في مكانة المناسب بدقة متناهية وبعدالة مطلقة (...) لقد تأثر أفلاطون في جمهوريته بأساتذة اليونان كما تأثر بالواقع الأثيني، وبالتهديدات الاسبرطية لوطن الأم اثنيا كما تأثر بالحضارة المصرية القديمة ،وبتنظيمها الاجتماعي التربوي بشكل واضح. (محمود السيد سلطان، 1979 : ص41-43)

كان الفيلسوف العظيم أفلاطون أول من كتب عن العلاقة الوثيقة القائمة بين التربية والمجتمع ،فسلامة المجتمع بل سلامة الإنسانية كلها ،تتوقف في رأيه على سلامة التربية التي يقدمها المجتمع للفرد، فإن صلحت التربية صلح المجتمع، وإن فسدت اضمحل المجتمع وزال من الوجود هذا وأن (جمهورية أفلاطون)هو أول كتاب وضع في التربية في عالم الغرب وقال عنه روسو((أنه أطرف بحث كتب في التربية على الإطلاق. ((هذا وأن لأفلاطون فضلا مضاعفا على العالم ، الفصل الأول هو تعريفه العالم بشخصية أستاذه العظيم سقراط وآراءه إذ لولاه لما عرف سقراط المعرفة الكافية، والفضل الثاني ما قدمه هو نفسه إلى العالم من نفائس الآراء، هذا وأن البعض قد يذهب إلى اعتباره أعظم فيلسوف ظهر إلى الوجود. (محمد فاضل الجمالي،1967: ص 71)

كان أفلاطون مثلاً يعيش في أثينا أم الديمقراطية في المجتمعات القديمة، ولكنه كان يعيش في عصر صارت فيه تلك الديمقراطية بما أدت إليه من (تسيب) خطراً على المجتمع الأثيني يهدد كيانه فاعتزل الحياة الأثينية الأقرب إلى الفوضى في أكاديميته الشهيرة وتصور مجتمعاً أثينياً جديداً يقوم على النظام وظهر هذا المجتمع الجديد في كتابه (الجمهورية) الذي يعتبر أول مجتمع شيوعي عرفه التاريخ، وبدون فهم الحياة الأثينية في فترة الحروب البلبوينزية بين أثينا واسبرطة وما أدت إليه من قلق في أثينا لم يكن من الممكن فهم جمهورية أفلاطون فهماً صحيحاً .

– أرسط طاليس (أرسطو):

عاش بين (384-322 ق.م) ويعتبر البعض أن أرسطو أعظم الجميع فقد كان لفلسفته إلى جانب فلسفة أفلاطون أعمق الأثر في الفكر القديم وفي القرون الوسطى وبقيت آراءه العلمية رائجة إلى حين بزوغ العلم الحديث (...) أن أرسطو مثل أستاذه أفلاطون ينظر إلى التربية باعتبارها عملية مرتبطة بكيان الدولة وبالكيان السياسي القائم ولذلك فهو يعالج موضوع التربية في كتابه " السياسة " باعتبارها موضوعا سياسيا **(...)**

هذا وأن أرسطو نفسه كان معلما خاصا لإسكندر المقدوني (...) هذا وأن نظرة أرسطو إلى التربية تختلف على نظرة أستاذه أفلاطون اختلافا جوهريا من حيث عنايتها بالفرد كأساس للبناء الاجتماعي فأرسطو يرى أن واجب التربية هو تكوين الإنسان الفرد (وأن الإنسان بطبيعته حيوان سياسي) (محمد فاضل الجمالي،1967: ص 87 -92)

مقومات التربية عند أرسطو:

ما يراه من أن تقوية الأواصر الأسرية خير للأسرة والتربية في الوقت نفسه، ولهذا ينتقد في كثير من الأحيان العنف الشيوعية (شيوعية النساء) التي قال بها أفلاطون إذا يرى أن الصداقة أو ما نسميه اليوم بالإحسان والإخاء هي أساس كل حياة اجتماعية ومبدؤها (...) وثمة في نظره شيئان يسهمان إسهاما جوهريا في خلق الاهتمام والترابط بين قلوب الناس الملكية ، والصداقة (...) لقد شغلت التربية الخلقية أرسطو كما شغلت أفلاطون، ولهذا يقرر بضرورة تكوين العادات الخلقية منذ الصغر، في كثير من العناية. (عبد الله عبدالدايم، 1967، 87 -92)

الإنسان في رأي أرسطو يتكون من طبيعة وعادة ومنطق (تفكيري) والعادة تسبق المنطق و التفكير، وبما أن نفس الإنسان الشهوانية تظهر قبل نفسه المنطقية، فوجب تنشئه الفرد على ضبط الشهوات بالعقل والمنطق، هذا و أن الخير والشر ليسا في الشهوات نفسها بل في استعمال الشهوات، فإذا ضبطت الشهوات بالعقل والحكمة كانت خيرا والعكس بالعكس وهذا وإن النفس الشهوانية وإن كانت غير عاقلة إلا أنها تخضع للعقل إذا سلط العقل عليها، فواجب المربي هو أن يحمل الطفل على التمييز بين الخير والشر وإخضاع للعقل.

وخلاصة القول إن أرسطو تميز عمن سبقوه بفكره المتسامي و دراسته للإنسان بنظرة ثاقبة رفعه بها عن باقي المخلوقات، مؤكدا على أن سعادة الإنسان كونه مخلوقا عاقل لا تنحصر في ملذاته الجسدية ، أو شهواته التي تحط به روحه الحيوانية، إنما نفسه العاقلة

تحقق له السعادة الكاملة حينما تسموا به إلى درجة الألوهية، وتنزهه عن الشعور بالذات إلى التأمل فيما هو له من الخلق، والتفكير فيما وراء الطبيعة وإدراك حقيقة الوجود المرتبطة بالإله الواحد " المحرك الأول" للخليقة، خالق الكون، فأستحق أرسطو بفكره المتسامي أن يلقب بالمعلم الأول.

5- التربية الرومانية:

من الحضارات التي عاشت لمدة مئات السنين ولعبت دورا في تاريخ الفكر البشري الحضارة الرومانية وريثة الحضارة اليونانية حيث حولت الآراء الفلسفية السابقة إلى نظريات وابتكارات مادية وعلى ذلك كان سقوط اليونان 146ق.م في أيدي الرومان هزيمة سياسة عسكرية، ولكنها لم تكن نهاية الفكر الإغريقي الذي أثر تأثيرا قويا في ثقافة الغزاة، فقد تحولت النظريات المنطقية والعلوم الأكاديمية إلى انجازات عملية نفعت الرومان، كانت التربية عند الرومان تقوم على التقليد والقسوة في دفع المتعلم إلى الدراسة.

ولم تعرف روما المدارس إلا منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أما قبل هذا العهد فهم يعرف الرومان من المعلمين آباءهم والطبيعة، فكانت التربية لديهم تربية جسدية وخلقية فحسب أو بتعبير أصح حربية وخلقية، فكانوا يعنون من جهة بالتدريبات المتصلة بساحة الوغى أو ساحة مارس ويعنون من جهة ثانية بحفظ الأناشيد الدينية التي كانت تحتوي على أسماء الآلهة والآلهات، يضاف إلى هذا دراستهم الألواح ألاثني عشر (المحتويات للقانون الروماني)، وعن طريق هذه التربية خرج الرجال الأشداء والشجعان الذين عرفوا بوطنية لم يعرف التاريخ مثلها.

عندما تقدمت التربية عند الرومان أصبح التعليم يركز على مهارة القراءة والكتابة والمحادثة وكان التركيز واضحا على تبني فكرة أهمية الخطابة في إعداد المواطن كما شيشرون الذي ولد سنة 106ق.م وفشل سنة 43 ق.م هو أحد أعلام التربية الرومانية فعل شيشرون بضرورة الاعتناء التربوي بالشبيبة وترك وصايا عديدة هي من أقدم الوصايا التربوية الرومانية.

كان كل شيء لديهم يهدف إلى غاية عملية والمنفعة عندهم فوق كل اعتبار آخر أما المثل الأعلى فلا شان لهم به، فهم يريدون أن يكونوا جنودا ومواطنين مطيعين قادرين على التضحية وهم ينكرون الحديث على الإنسان ، بما هو إنسان ولا يستسيغون سوى الحديث عن المواطن الروماني،

وعلى خطاه جاء كونتليان (35-95 م) إلا أنه أسهم إسهاماً بارزاً في حقل التعليم عندما أكد على أهمية تعليم الصغار في المدارس إذ كان السائد من قبل في كثير من المجتمعات أن الطفل يدرس أكثر وقته في محيط الأسرة وشن كونتليان هجومه على استخدام العقاب البدني فلم يقر به واعتبره صورة مُتخلفة. جمع هذا المفكر في عمله –كمعلم– بين التعليم الخاص والتعليم العام حيث عمل في تدريس أبناء الملوك. السمة العامة لنمط التربية الرومانية هي التمحور حول التربية الأخلاقية وإعداد الخطيب المفوه والرجل النبيل ولهذا كانت تعاليم الفلاسفة تصب في هذا المصب.

ويعتبر كونتليان أحد أعلام التربية الرومانية بالإضافة إلى شيشرون حيث أسهم إسهاما بارزا في حقل التعليم عندما أكد على أهمية تعليم الصغار في المدارس، إذ كان السائد في كثير من المجتمعات أن الطفل يدرس أكثر وقته في محيط الأسرة، وشن كونتليان هجومه على استخدام العقاب البدني فلم يقر به واعتبره صورة متخلفة (...) ولقد ترك كونتليان المربي الروماني مقطوعات نثرية لها قيمة تربوية كبيرة وكأنه استلهمها من دراسة عميقة لمبادئ علم النفس الحديث، فمثلا رأيه في استخدام اللعب كوسيلة من وسائل التربية، وحديثه عن أهمية الترويح والتسلية في تجديد

نشاط الطفل من المباحث العصرية التي تعرض لها في مواعظه التعليمية القيمة والتي تنسجم تماما مع روح التربية الحالية.

قامت شهرة كونتليان على تأليفه كتاب أصول الخطابة ومن أفكاره الثقافية قوله " من الخطأ الاعتقاد بأن المعلم ضعيف الثقافية يناسب التلاميذ الصغار. " عرفت الحضارة الرومانية المدارس الابتدائية التي كانت معروفة باسم اللودوس المعلم يسمى المؤدب أما الآباء الأغنياء فكانوا يجلبون لصغارهم معلمين أكفاء يلازمانهم في البيت والمدرسة فيقدموا لهم التوجيه اللازم أخلاقيا ودراسيا. (الكندري لطيفة، ملك بدر، 79)

لقد ترك كونتليان المربي الروماني مقطوعات نثرية لها قيمة تربوية كبيرة وكأنه استلهمها من دراسة عميقة لمبادئ علم النفس الحديث فمثلا رأيه في استخدام اللعب كوسيلة من وسائل التربية وحديثه عن أهمية الترويح والتسلية في تجديد نشاط الطفل من المباحث العصرية التي تعرض لها في مواعظه التعليمية القيمة وتنسجم تماما مع روح التربية الحالية. لا شك في أن تجربته في سلك التعليم كانت ثرية وأتاحت له فرصة التعرف على مفاهيم تربوية هامة فطالب بتوظيفها في الحقل التربوي.

يقول كونتليان "مع هذا فإن جميع تلامذتنا بحاجة إلى الاستجمام، ليس لأنه لا يوجد في هذا العالم من يستطيع أن يتحمل الجهد المستمر- حتى الأشياء غير المفكرة والجامدة ما لم يعط فترات من الراحة- ولكن لأن الدرس يعتمد على ممارسة التلميذ أيضا وهي صفة لا يمكن تحقيقها بالقوة. وكنتيجة لذلك فإنهم إذا ما انتعشوا وعاد إليهم نشاطهم بعطلة (يتمتعون بها) فإنهم سيعودون بطاقة أعظم في تعلمهم ويواجهون عملهم بروح عظيمة من نوع لا يمكن أن يتراجع. إنني أوافق على اللعب عند الأطفال، لأنه دليل الحيوية... وينبغي أن لا يكون هذا الاستجمام بغير حدود، وإلا فإن رفض منح عطلة للصبيان سيجعلهم يكرهون عملهم بينما الزيادة في الاستجمام ستعودهم الكسل. وتوجد بالإضافة إلى ذلك ألعاب لها قيمة تربوية للصبيان، وكمثل على ذلك عندما يتسابقون في تصدي بعضهم للبعض الآخر بجميع أنواع الأسئلة التي يسألونها بالتناوب" (ناصر، 1977م، ص 220 باختصار).

قامت شهرة كونتليان على تأليفه كتاب أصول الخطابة ومن أفكاره الثاقبة قوله "من الخطأ الاعتقاد بأن المعلم الضعيف الثقافة يناسب التلاميذ الصغار" (شربل، 1991، ص 204) وطالب بضرورة الاعتناء بطريقة التدريس وقال أنها أهم شيء في التعليم .

عرفت الحضارة الرومانية المدارس الابتدائية التي كانت معروفة باسم اللودوس والمعلم يسمى المؤدب أما الآباء الأغنياء فكانوا يجلبون لصغارهم معلمين أكفاء يلازمونهم في البيت والمدرسة فيقدم لهم التوجيه اللازم أخلاقيا ودراسياً. "وكان الآباء الأغنياء من الرومان يضعون أبناءهم في رعاية عبد يطلق عليه اسم "بيداجوج" منذ دخولهم مدارس اللودوس حتى سن السادسة عشر" (العمايرة، 2000 م، أصول التربية، ص 148).

وكان الآباء الأغنياء من الرومان يضعون أبناءهم في رعاية عبد يطلق عليه اسم"بيداجوج " منذ دخولهم مدراس اللودوس حتى سن السادسة عشر.

إن السبق التاريخي لوضوح معالم التربية الذي نالته المدارس اليونانية كالمدرسة الرواقية والابيوقورية وحتى مدارس فيثاغورس وسقراط

وكذا أرسطو كان له الأثر في تواجد أتباع لفكرهم التربوي من الحضارة الرومانية وفلاسفتها وإن لم ينالوا شهرة بالقدر الذي ناله فلاسفة اليونان ولعل أبرز هؤلاء بالإضافة إلى كونتليان وشيشرون نجد أيضا:

1/سينيكا: وهو من بين الفلاسفة والكتاب الخلقيين الذي ظهروا في القرن الأول بعد الميلاد.

2/فلوطارخس 137ق.م: ينتسب في الواقع إلى العالم الروماني إذا قدم لروما مرات عديدة فتح فيها في عهد (دومتيان) مدرسة علم فيها الفلسفة والأدب والتاريخ. (العمايرة محمد حسن، 2000: ص148)

إن الأفكار التربوية التي برزت في روما مازالت بارزة للعيان كتوجهات تربوية نجدها تؤكد على النمط التقليدي في التعلم ذلك النمط الذي يؤكد على الشدة بالمتعلمين وضرورة حفظ المعلومات عن ظهر قلب وأما توجه كونتليان – الذي لم ينتشر كثيراً- فإنه توجه يتماشى مع التوجه الحديث في علم النفس التربوي لأنه يؤكد على فهم طبيعة المتعلم ويركز على ضرورة احترام حريته.

وخلاصة القول فإن التربية الرومانية كانت تربية تقليدية وتعتمد الغلظة والشدة على المتعلم وطريقة التعلم بواسطة الحفظ عن ظهر قلب ، عدا بعض المؤشرات التي أتى بها كونتليان والتي تعتمد على فهم الطبيعة وترك مجال للحرية في التعبير للمتعلم.